وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مسار تاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر الموسومة بـ:

الاستيطان الفرنسي في منطقة الونشريس و السرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1844-1930)

إعداد الطلبة:

❖ حيساني خيرة

❖ ربوح وردة

إشـــــــراف:

د. دوبالي خديجة

لجنة المناقشة

-د. كيوس شهر زاد .....رئيسا

- د. دوبالي خديجة .....مشرفا ومقررا

-د. مصطفى عتيقة .....مناقشا

السنة الجامعية:

1441-1442 هـ الموافق لـ 2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر والحمد لله الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل والذي نبتغي من خلاله رضاه عنا والوصول إلى المعرفة التي أمرنا بها.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسرنا أن نتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة "دوبالي خديجة " على مساندتها لنا وعلى كل المجهودات التي بذلتها في توجيهنا خلال قيامنا بالبحث والدراسة.

وكذلك نوجه شكرنا إلى جميع أساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية وأساتذة قسم التاريخ على كل ما قدموه لنا خلال المسار الدراسي.

ونتقدم بالشكر إلى من قدم لنا يد المساعدة من دكاترة الدكتور سعيداني سحنون والدكتور زيان مكي على سعة صدورهم وصبرهم

وللآخذ بأيدينا إلى منابع العلم و توجيهنا في هذا العمل والشكر موصول إلى الأصدقاء الذين قدموا لنا النصح و لم يبخلوا علينا وشكرا.

إهداء

لك ربي أسجد سجود الشكر داعيا إياك أن تنفع بهذا العمل كل من قرأه و تجعله صدقة جارية في مماتي

إلى من علمني الصبر و الصمود إلى من تحمل المعاناة وشجعني في رفع شعلة العلم ألبسه الله ثوب الصحة والعافية "أبي العزيز"

إلى الشمعة التي اشتعلت لتنير لي دربي و سهرت الليالي لأجلي أمي الحبيبة

إلى من شاركوني الأفراح و الأحزان إخوتي و أخواتي الأحباء

بن عيسى ، حورية ، سميرة ، كهينة ، شيماء ،صحراوي

إلى أصدقائي و صديقاتي "جنات، وردة، جهيدة، أمينة، نادية، سمية، فطيمة و كل الأصدقاء من قريب و بعيد أهدي ثمرة هذا العمل.

خيرة

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

''وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ''صدق الله العظيم أهدي ثمرة جهدي إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من أحمل اسمه بافتخار والدي العزيز "محمد"

الى معنى الحب والحنان وتاج رؤوسنا ولؤلؤة قلوبنا الى من كان دعائها سر نجاحي أمي الغالية ''شلالية''

إلى روح أمي وغاليتي وحبيبتي جدتي "زينب" رحمها الله

الى كل أهلي بداية بعماتي حفظهم الله : زهرة، مباركة، أم منون، فاطمة، أمينة، بختة، حليمة"، وأعمامي "عبد القادر ويحي وجميع زوجاتهم و أزواجهم وأولادهم"

الى جدتي "ام الخير " و كذا جميع أخوالي و خلاتي حفظهم الله

إلى أخواتي من جمعني بيهم اسم واحد ورحم واحد "مباركة، أنوار، ريمة"

إلى كتاكيت قلبي وصغار العائلة "إيمان ، هارون ، محمد ، وابنتي وروح قلبي زينوبة"

إلى الأخوات التي لم تلدهن أمي ورفيقات دربي "جهيدة،حبيبه,كوثر , ختو، خولة، حورية، مريم، بشرى"

إلى من أحبهم قلبي ولم يذكرهم قلمي

وردة

قائمة المختصرات

1. باللغة العربية:

مج	مجلد
م	ميلادي
ع	عدد
ط.خ	طبعة خاصة
ط	طبعة
صص	صفحات متتالية
ص	صفحة
د.ط	دون طبعة
ج	جزء
تق	تقديم
تر	ترجمة
تح	تحقيق
د.ت	دون تاريخ
د.ص	دون صفحة
ِش و ن ت	الشركه الوطنيه لنشر و توزيع
د و م ج	الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية
كلم	كيلومتر
تع	تعليق

2. باللغة الفرنسية:

signe	signification
p	page
pp	Des pages
T	Tome
Op-cit	Opit operio citate
Ibide	Ibidem

مقدمة

يعد الاحتلال الفرنسي للجزائر من أكبر النماذج الاستيطانية في تاريخ الاستعمار الأوروبي الحديث، فبعد أربع سنوات من سقوط الجزائر أصدرت الحكومة الفرنسية قرارها المشهور في 22 جويلية 1834 م، والقاضي بإلحاق الجزائر بفرنسا، ولتأكيد هذا الإلحاق اعتبر دستور الجمهورية الثانية 4نوفمبر1848 الجزائر جزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي طبقا للمادة 109 .

وقد أدركت فرنسا بأن مستقبلها، بهذه البلاد مرتبط بمسألة الاستيطان، وأن نجاح عمليه الاستيطان يتوقف على قدرة السلطات على توفير الأراضي اللازمة للمستوطنين وتقديم التسهيلات والتحفيزات لإنجاحها، ولهذا يعتبر كل من كلوزيل وبيجو من كبار المنظرين للفكر الاستيطاني وخاصة بيجو بالنظر إلى معركته الطويلة في إقناع الساسة بالنفع الذي يمكن أن يعود به الاستيطان على فرنسا باعتباره الوسيلة الأنجح لضمان بقائه واستمراره في الجزائر.

إن السياسة الفرنسية تطلبت انتزاع الأرض الخصبة من الجزائريين وإعادة توزيعها على المستوطنين، وهذا ما دفع بالفرنسيين في توسيع مشروع الاستيطان بالمناطق الداخلية ومن بينها منطقة الونشريس والسرسو، وإدراكا منا لأهمية موضوع الاستيطان الفرنسي بهذه المنطقة على وجه الخصوص والجزائر عموما، فقد ارتأينا أن يكون المحور الرئيس لبحثنا هذا والموسوم بـ:"**الاستيطان الفرنسي في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1844–1930)**".

تكمن أهمية هذا الموضوع كونه يسلط الضوء على أحد الجوانب التي ظلت تسيل حبر الكثير من الباحثين حول الاستيطان الفرنسي بمنطقة الونشريس والسرسو وفي ظل قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت تاريخ المنطقة الاستيطاني، فقد ارتأينا أن نعمل على البحث والتنقيب في هذا الموضوع مستفيذين من الدراسة الأكاديمية التي أنجزها سحنون سعيداني والموسومة بـ:" : الاستيطان في منطقه الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930).

وقع إختيارنا على هذا الموضوع لجملة من الأسباب نذكر منها : إبراز دور المنطقة في التصدي لمشروع الاستيطان، ورفضها للسياسة التوسعية، ومقاومتها له بكل الأساليب ، فقد كان لها حضورا قويا وفعالا في مقاومة الأمير عبد القادر و في كل المقاومات التى تلته في الجنوب الغربي، وتم تحديد الفترة

الزمنية 1844- 1930 الاطار الزماني للبحث لأنه تناول مرحلة الاستيطان بإستعمال آليات واستراتيجيات عسكرية وسياسية .

وعلى ضوء ما تقدم نطرح الإشكالية التالية: هل إستطاعت السياسة الفرنسية تجسيد مشروعها الاستيطاني في كل من منطقة الونشريس والسرسو؟ وللإحاطة بهذه الإشكالية من مختلف جوانبها قمنا بطرح مجموعه من الأسئلة الفرعية لعل من أهمها نذكر:

1-كيف كان التواجد الفرنسي بمنطقة الونشريس والسرسو قبل 1844م؟

2-ما هي الإجراءات التي قامت بها الإدارة لتهيئة المنطقة خلال فترتي الحكم العسكري والمدني؟

3-ماهي أبرز المقاومات الشعبية التي تبناها سكان المنطقة؟

4-كيف استغلت الإدارة الاستعمارية القوانين ما بعد 1870 لتثبيت الاستيطان بالمنطقة؟

5-فيما تمثل رد فعل المقاومة الجزائرية بالمنطقة ؟

6-هل حققت السلطة الفرنسية مساعيها من خلال سياسة الاستيطان؟ وكيف ذلك؟

7-فيما تجلى رد فعل السكان المحليين إزاء القوانين؟

بما أن طبيعة الموضوع وحجم المعلومات المتوفرة هما المتحكمان في المنهج المتبع، فقد إعتمدنا على المنهج التاريخي الذي يعتبر ضروريا في كل دراسة تاريخية، لسرد المادة العلمية وتدوين الأحداث التاريخية، ثم المنهج التحليلي في شرح المادة التاريخية، وكذا المنهج الإحصائي المقارن من خلال إستعمالنا لجداول ووضع مقارنة بين الإحصاءات.

للإحاطة بالموضوع من مختلف جوانبه، فقد عالجناه وفق خطة تتألف ثلاثة فصول رئيسية حيث جاء الفصل الأول بعنوان: **"جغرافية منطقة الونشريس والسرسو وبداية التواجد الفرنسي بها"** تطرقنا فيه إلى التعريف بالإطار الجغرافي للمنطقة، وكذا الإطار التاريخي والذي خصصناه لدراسة المنطقة خلال العهد العثماني، وكما عرجنا على بداية التوسع العسكري بالمنطقة خاصة الفترة التي سبقت سنة 1844 وكذا إحصاء أهم المجازر المرتكبة من طرف العسكريين من نفس الفترة.

أما الفصل الثاني والموسوم بـ: "**التوسع الاستيطاني بالمنطقة ورد فعل المقاومة الجزائرية (1844-1870)**"، وضم أربع مباحث تطرقنا من خلالها إلى مفهوم الاستيطان وأشكاله وبداية التواجد الفعلي الفرنسي بالمنطقة، ثم عرجنا إلى تهيئة المنطقة وأخيرا أبرزنا مظاهر المقاومة الشعبية.

أما الفصل الثالث فقد عنوناه بـ:"**الاستيطان المدني في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1870-1930)**"، وحمل في طياته أربع مباحث وقد تمثل محتواها أولا في إحصاء أهم القوانين خلال فترة قيد الدراسة، وأما المبحث الثاني فكان محتواه تنظيم الاستيطان بالمنطقة، في حين ضم المبحث الثالث عرض نموذج عن الاستيطان بالمنطقة وهي بلدية فيالار، وأخيرا تكلمنا عن رد فعل سكان المنطقة، ومجموعة من الملاحق لتدعيم دراستنا، وأنهينا بحثنا بخاتمة ضمناها النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

وقد استندت دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع باللغة العربية الفرنسية دراسة سابقة لسعيداني سحنون الموسومة " الاستيطان الفرنسي لمنطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930)"، بالإضافة إلى مجموعة من البحوث التي تم عرضها في بعض الملتقيات، أو نشرها في بعض الدوريات، والرسالات الجامعية وموسوعات اللغة، تفاوتت أهميتها حسب علاقتها بالموضوع، ومن أهم المصادر المعتمد عليها : كتاب هانيرنيش فون مالتسان، بعنوان "ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا" والذي أفادنا في بداية التوسع الفرنسي بالمنطقة.

وكتاب باللغة الفرنسية بعنوان "المكاتب العربية"، (Les bureaux arabes) لمؤلفه" Xavier Yacono " والذي أفادنا في دراسة قبائل المنطقة، وكذا مصدر آخر الموسوم بـ" Domination et colonisation " لمؤلفه " J . HARMOND " والذي أفاد في إحصاء الجرائم التي ارتكبتها سلطات الاحتلال الفرنسي في حق سكان المنطقة ، وكذا مجموعة مراجع منها "بن داهة عدة " بعنوان" الاستيطان وملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي (1830-1962)" في جزؤه الأول الذي أفاد في استبيان أشكال الاستيطان في الجزائر، بالإضافة إلى دراسة أخرى لجيلالي صاري بعنوان "تجريد الفلاحين من أراضيهم (1830-1900)، والذي أفادنا في توضيح الدور الذي لعبته منطقة الونشريس والسرسو.

ومرجع آخر لصالح فركوس بعنوان: "تاريخ جهاد الأمة الجزائرية(الاحتلال الفرنسي والمقاومة المسلحة) 1830-1962"، الذي استظهر لنا المقاومات الشعبية التي ظهرت بالمنطقة، وكتاب لأبو القاسم سعد الله بعنوان الحركة الوطنية الجزائرية في جزئيه الأول والثاني، والذي ساعد في إثراء مادة القوانين الاستعمارية ما بين فترة (1870-1930).

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز بحثنا هذا، فلعل من أهمها طول الفترة الزمنية المعنية بالدراسة والتي تقارب القرن من الزمن مما صعب من مهمة تتبعها زمنيا، وكذا عدم قدرتنا على تحصيل الرصيد الأرشيفي الخاص بتاريخ المنطقة وخاصة أرشيف منطقة ثنية الأحد وذلك نظرا لظرف الحالي (جائحة كرونا) وصعوبة التنقل وتجدر الإشارة إلى أن المنطقة تابعة إداريا لسبع ولايات مما يصعب مهمة جمع أرشيفها، وقلة المصادر التي تناولت المنطقة فكل الذين كتبوا عن المنطقة لم يخصصوا لها مباحث بل أشاروا إليها في بعض المحطات من بحوثهم التاريخية.

بالرغم من كل هذه الصعوبات إلا أننا بذلنا كل ما بإمكاننا لجعل هذا الموضوع دراسة علمية تاريخية نصل في ختامها إلى إجابة عن الإشكالية المطروحة سابقا تبيان السياسة الاستيطانية بالمنطقة.

وفي الأخير إننا لا ندعي الإحاطة بكل الحقائق التي لها علاقة بالموضوع ولكننا حاولنا قدر المستطاع إضافة لبنة لتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر من خلال ما توفر لنا من مطبوعات، ولا ندعي أيضا أن الحديث عن الموضوع الاستيطان في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1844-1930) برمته قد إستوفى كل متطلباته من حيث البحث والدراسة بل بالعكس نعتقد أننا فتحنا نافذة أخرى تدفع بباحثين آخرين لإثراء الموضوع من جديد.

الفصل الأول: جغرافية منطقة الونشريس والسرسو وبداية التواجد الفرنسي بها

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لمنطقة الونشريس والسرسو

1-1- الإطار الجغرافي لمنطقة الونشريس

1-2- جغرافية سهل السرسو

المبحث الثاني: الإطار البشري والتاريخي(1520-1830)

2-1- قبائل المنطقة

2-2- التواجد العثماني بالمنطقة (1520-1830)

المبحث الثالث: بداية التواجد الفرنسي في منطقة الونشريس والسرسو(1840-1844)

3-1- التوسع العسكري (1840-1842)

3-2- التواجد الفعلي الفرنسي بالمنطقة 1842-1844

المبحث الرابع: جرائم الاحتلال الفرنسي بالمنطقة

4-1- مجزرتي تاقدمت وبني مايدة

4-2- مجزرة غارة الفراشيش(1846/06/18)

المبحث الأول : الإطار الجغرافي لمنطقة الونشريس والسرسو

1-1 الإطار الجغرافي لمنطقة الونشريس:

قبل التطرق لتحديد الإطار الجغرافي للمنطقة، نعرج إلى أصل التسمية، فقد كان الونشريس معروفا قبل مجيئ الرومان ليحرف اسمه عند الرومانيين ويصبح انشورايوس(Achororuis) لصعوبة تدوينه بالاتينية[1]، أما عند الكتاب العرب والمسلمين القدماء فقد ورد ذكره بعبارات مختلفة منها: وانشريس وأنشريس وأرشنيش وورشريس وورسنيس، وبهذا الاسم الأخير يعرف عند عامة أهل المنطقة[2]، وعن معنى لفظ الونشريس فتعني ماليس أعلى منه.[3]

أما عن معناه فيشير المؤرخون الفرنسيون إلى أنه تعني عين العالم(l'œil du monde) ونظرا لشكله فيصفونه بالهرم[4]، والونشريس عبارة عن كتلة جبلية ضخمة تمتد على طول 150 كلم وهو يمتد من واد مينا غربا إلى واد دردار شرقا، ومن حوض الشلف شمالا إلى شمال سهل السرسو جنوبا[5]،ويذكر الأستاذ ساحلي أن جبال الونشريس وجبال بني شقران يشكلان معا واجهة واحدة جغرافيا[6]، وتتميز سلسلة الونشريس ببساطة في تسلسلها ارتفاعا وانخفاضا وتتخلله عدة قمم مرتفعة أهمها أشاون[7] التي تعلو عن سطح الأرض بحوالي 1850 متر، وقمة سيدي اعمر التي تعلو هي الأخرى عن سطح الأرض

---

[1]- أبوعبد الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تح وتق: إسماعيل العربي، د.و.م.ج، الجزائر، 1983، ص 154.

[2]- ابن الحسن علي ابن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح وتق: إسماعيل العربي، د.و.م.ج، الجزائر، 1982، ص 141.

[3]- جيلالي صاري، "الونشريس مهد الكفاح بعيد وقريب"، مجلة الأصالة، ع.83-84، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص 29.

[4]- Xavier Yacono, Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigénes dans l'ouest de tell Algérois tome l, vol : 78, Editions Larose, Paris, 1953, p 30.

[5]- جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 30.

[6] - Zoubir SAhli " Ecosystème en crise risque et sécurité ،le cas de zone semi-aride du sersou " Option méditerranéenne ،série A / 21 ،1991 ،pp 49-63.

[7]- **أشاون:** صيغة الجمع مفردها ايش وتعني لفظيا القرون(CONESS)، أما اصطلاحا فتقابلها الكلمة الفرنسية(PIC)، ينظر: العربي عقون، الونشريس الهوية والمقاومة الجزائرية عبر التاريخ وشواهدها الأثرية، مجلة الأبحاث، ع.1، منشورات دار الثقافة، تيسمسيلت، 2012، ص21 .

بحوالي 1985 متر، وسيدي عبد القادر ويبلغ ارتفاعه 1707متر، ويظهر على شكل لسان ينحدر بشكل شديد مشكلا لأودية عميقة يصل طول انحدار بعضها ثمانية كلم.[1]

تقع جبال الونشريس بين ثلاثة أودية، نهر واصل من الجنوب الذي ينبع من ولاية تيارت، ثم يساير الحدود الجنوبية لولاية تيسمسيلت ثم ينحرف باتجاه الشمال ليلتقي بواد الشلف الذي يستمر باتجاه الشمال، قبل أن ينحرف قرب خميس مليانة باتجاه الغرب ثم يستمر إلى أن يصب في البحر[2]، وفي الجهة الغربية يحد المنطقة واد مينا الذي هو الآخر ينبع من تيارت ثم ينحرف نحو الشمال الغربي، بداية من مشرع الصفا ثم يستمر باتجاه الشمال بعد أن يمر بمنطقة سيدي محمد بن عودة غرب مدينة غليزان ومنها إلى البحر بعد أن يلتقي بواد شلف[3].

ومن خلال هاته الحدود الجغرافية يظهر أن منطقة الونشريس أخذت حيزا كبيرا شمل ست ولايات، حيث تدخل ولاية تيسمسيلت بشكل كلي والجانب الشمالي من ولاية تيارت والجانب الغربي من ولاية المدية والجانب الجنوبي من ولايتي عين الدفلة والشلف والجانب الغربي من ولاية غليزان، أما عن مناخ المنطقة فيتميز برطوبة متوسطة، فتتراوح الأمطار ما بين 600 ملم في جبل المداد الذي يبلغ ارتفاعه 1775 متر و508 ملم في الناظور التي تتواجد على ارتفاع 800 متر[4]، ويتميز ببرودته شتاء فقد أطلق عليه العسكريين الفرنسين ثلوج سيبيريا الصغرى[5] .

ويغلب على المنطقة الطابع الرعوي الفلاحي فهي تستحوذ على مساحات زراعية خاصة زراعة الحبوب والخضر والفواكه، لوجود سهول خصبة مثل سهل وادي الشلف وسهل السرسو، ويكسو الونشريس غابات أهمها، غابات الأرز وتعرف بالمداد نسبة إلى الجبل الذي تنمو به، وقد أطلق عليها

---

[1]- سحنون سعيداني، الاستيطان في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930)، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 2.

[2]- عبد القادر دحدوح، إسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية، مجلة الأبحاث، ع.2، منشورات دار الثقافة، تيسمسيلت، 2013، ص 62.

[3]- ينظر: خريطة الونشريس في الملاحق " ملحق رقم (01)".

[4]- سحنون سعيداني، المرجع السابق، ص 3.

[5] - Xavier YACONO ،(op . cit) ،p 32 .

المؤرخ مبارك ميلي العرعار[1]، وفي سفوح قسمه الشرقي غابات يزيد عمر بعضها عن خمسة قرون وتشبه الغابات الألبية[2]، كما تسوده حشائش الدوم(tenax- Ampélodesmos)وتعرف محليا بالدبس" وهو يشبه النخيل إلا أن طوله لا يتعدى المتر "[3] .

وأما عن وجود الحيوانات فقد ذكر قائد منطقة ثنية الأحد في مذكرته عن وجود حيوانات مفترسة مثل الأسود والفهود، وتم تسجيل أربعة عشر اسدا وثلاثة فهود كانت تهدد سكان المنطقة[4]، أما الأودية التي تنبع من جبال الونشريس فهي عديدة وأهمها واد الفضة الذي ينبع من الونشريس جنوبا ثم يتجه شمالا ليصب في واد الشلف، ويطلق عليه بعض الرحالة "نهر الشلف"[5]، وكذلك ليون الإفريقي كتب قائلا: "الشلف ينبع من سفوح الونشريس ويجري عبر سهوله".[6]

1-2 جغرافية منطقة السرسو:

وبعد التطرق للإطار الجغرافي لمنطقة الونشريس، نحاول الآن دراسة منطقة السرسو، وبداية مع معنى اللفظ، ففي معجم البلدان كلمة سرو تعني المنطقة التي ترتفع عن مجرى السيل وتنخفض دون الجبل، ويؤكد ياقوت الحموي بالقول "وسرو من الجبل ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل"[7].

وأما ابن حوقل يسميه في كتابه صورة الأرض ببلد السر[8]، وبينما يشير اليه ابن خلدون في مؤلفه

---

[1]- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق وتص: محمد الميلي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976، ص 46.

[2]- **الألبية**: سلسلة جبلية تقع في جنوب أوربا، ظهرت في الزمن الجيولوجي الثالث، ينظر: سحنون سعيداني، المرجع السابق، ص3.

[3]- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 46.

[4] - Dr Shaw ،Voyage Dans la regence d'Alger ،Traduit par J . Maccarthy ،chez Marlin éditeur Paris 1830 ،p 318 .

[5]- ابن الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 142.

[6]- سحنون سعيداني، المرجع السابق، ص 4.

[7]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ص 217.

[8]- أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص 81.

كتاب العبر أرض السرسو وذكره في احدى عشر موضعا " وكانوا بأرض السرسو[1]، ونقلا عن الأستاذ سحنون أشار أن "باججه" (Bageja) اعتمد على الأسطورة التي تتداولها المنطقة وتروي أن قبيلتين تقاتلتا في جنوب جبال تاهرت، وفرت منهزمة ليلا بحثا عن مأوى يكفيها شر هزيمة، ولما طال بأفراد القبيلة السير دون توقف سأل أفراد القبيلة شيخهم أن يحدد وجهتهم فأمرهم بالسير والسكوت بقوله سرووسوو التي تحولت إلى سرسو[2] .

وأما حدوده الجغرافية فهو سهل واسع يشكل جزء من السهول العليا بالجنوب الغربي الوهراني، تحده السهوب من الجنوب وجبال الونشريس من الشمال وسهول قصر البخاري من الشرق والسهول العليا من الغرب[3]، ويذهب بعض المؤرخين بربطه بجبال الونشريس ويحددون طول السرسو بطول مجرى واد واصل، وعرضه أربعين كيلومتر وتم تحديد مساحته من طرف باججه Bageja 320000 هكتار[4]، وقد اعتبره yacono جزء من المنطقة التلية، كما اشار إلى مناخه فهو مناخ يميل إلى الجفاف الجفاف أكثر منه إلى الرطوبة وترتفع الرطوبة في أقصى شماله وتقل كل ما اتجهنا جنوبا، وتتراوح ما بين 455 ملم و319 ملم شتاءً، بينما صيفا تعرف حرارة شديدة حتى أطلق عليها المعمرون "الصحراء الصغرى "[5] .

وأما عن الغطاء النباتي فيغطي السرسو نباتات المناخ الجاف مثل الحلفاء وغيرها، وذهب المؤرخون الفرنسيون إلى ابراز خصائص نبات سهل السرسو، وفي هذا نجد ستيفن غزال Stephane Gazell

[1]– عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج.3، منشورات مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، 1971، ص 155.

[2]– سحنون سعيداني، المرجع السابق، ص 4.

[3]– للاطلاع على خريطة توضح المعالم الجغرافية لمنطقة السرسو ينظر الملحق رقم (02)"

[4]– سحنون سعيداني، المرجع السابق، ص 5 .

[5] – Xavier Yacono ،(op . cit) ،p 37 .

بقوله " تحاول الجذور النفاذ إلى داخل القشرة الأرضية للوصول إلى المياه بسبب الجفاف فتنتشر مادة الأزوت بداخل القشرة الأرضية التي تخصب التربة " [1] .

المبحث الثاني : الإطار والبشري والتاريخي للمنطقة

2-1- قبائل المنطقة:

يرجع المؤرخون تعمير الجزائر إلى أزمنة غابرة وقد عمرها مجموعة من القبائل عرفت فيما بعد بالبربر وأرجع نسبها ابن خلدون إلى ولد كنعان، وقد ذكر بهذا الصدد" البربر من ولد عمليق بن لاوذ بنوتميلة بن مارب بن قاران بن عمر لن عمليق والصحيح أنهم من كنعان بن حام "[2]، ويطلقون على أنفسهم الأمازيغ ويعني الرجل الحر، وأما عن تعمير منطقة الونشريس والسرسو فقد استوطنت بها قبائل زناتة، ومغيلة التي استقرت على سفوح الونشريس وأطرافه الجنوبية التي تعرف بـ "سرسو"[3].

وقد اختلف الروايات التاريخية في تحديد السلالة البشرية التي ينتمون إليها، فشارل اندري جوليان أرجعها لأصول أوروبية وكان دليله في ذلك في ذلك التشابه الموجود بين الحفريات التي تم العثور عليها في جنوب أوروبا وشمال النيجر، وأشار في نفس الصدد بأن القبائل البربرية القادمة من أوروبا لا بد لها من المرور على الجزائر[4]، وهناك من أرجع أصلهم من الشرق كما أشارت المصادر المصرية وبعد اكتشاف الخطوط لبيكية المنقوشة في ناحية سيناء والتشابه الكبير بينها وبين الموجودة في الجزائر[5].

2-2- التواجد العثماني (1520-1830):

أما عن الفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي، فقد عرفت دويلات المغرب العربي ضعفا خاصة بعد سقوط آخر معقل للمسلمين بالأندلس سنة 1492م، الذي تمخض عنه ظهور الخطر الصليبي المكلل

---

[1] - Gzell- Stephane, histoire ancienne de l'Afrique du nord, Tome II, librairie Hachette, Paris, 1928, p 168.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 156 .

[3]- نفسه، ص 128 .

[4]- شارل أندري جوليان، تاريخ شمال أفريقيا، تعريب محمد مزالي وبشير بن سلامة، دار التونسية للنشر، تونس 1983، ص 48.

[5]- ايف لاكوست وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: أسطنبولي رابح ومنصف عاشور، د.و.م.ج، الجزائر 1984، ص 60.

بحملات شرسة من طرف الإسبان على السواحل الجزائرية المستهدفة على غرار دول المغرب، فدفع ذلك سكان الجزائر الاستنجاد بعروج[1] وخير الدين[2] بربروس الذين كانا متواجدين في جزيرة جربة[3]، فتم تلبية النداء من طرف الإخوة بربروس وتم إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية سنة 1520م، لتصبح إيالة عثمانية وتعيين خير الدين بربروس حاكما عاما عليها، وكان على الجزائر أن تعمل على خلق جو من الاستقرار في المنطقة وخاصة أن الدولتين المجاورتين لها أظهرتا ضعفا وغدرا فقد وافق حاكم تونس على أن يسلم الإسبان العديد من المدن وأن يتمتع المسيحيون بامتيازات في تونس ويلتزم بدفع مبالغ مالية وخيول عربية وترتبط هذه الشروط بعقد جزاء أن يحتفظ بعرشه وأما الحاكم المريني هو كذلك دهب للتحالف مع الاسبان وتحريض القبائل المقيمة في غرب الجزائر ضد السلطة المركزية في الجزائر واحتفاظه بتلمسان تحت سلطته فكان على الدولة مواجهة عدوين في آن واحد تونس في شرقها وفاس في غربها.[4]

ومع مطلع سنة 1671م دخلت الجزائر مرحلة جديدة تميزت بتولي طائفة رياس البحر السلطة وهم ضباط البحر، ولقد نصبت الخلافة العثمانية نظاما جديدا يتمثل في تعيين حاكم للبلاد يلقب بالداي وقسمت الجزائر إلى أربع أقاليم، هي كالتالي:

1-دار السلطان : كانت تضم مدينة الجزائر وضواحيها.

2-بايلك الغرب : كانت عاصمته مازونة ثم معسكر وأخيرا وهران بعد جلاء الإسبان عنها عام 1792م

3-بايلك تيطري : ضم المناطق الوسطى ومناطق الجنوب ودار السلطان وكانت عاصمته المدية

---

[1]- **عروج** :ينطقها الأتراك أرروج هوملاح تركي ألحقته السلطات العثمانية بخدمة الدولة العثمانية، ينظر: محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العليا العثمانية، تح إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1986، ص ص 231-232 .

[2]- **خير الدين بربروس**: وهو أخ عروج تولى الخلافة بعد إستشهاد أخيه وبعد المؤسس الفعلي لإيالة الجزائر، ينظر : المرجع نفسه، ص ص: 230-233 .

[3]- **جزيرة جربة**: عبارة عن جزيرة منبسطة رملية غزاها الإسبان بعد بسط نفوذهم على طرابلس سنة 1510، ينظر: حسن بن محمد الوزاني، وصف أفريقيا، تر: محمد حصين ومحمد الأخضر، بيروت دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، ج 2، 1983، ص ص 93-95.

[4]- محمد فريد بيك المحامي، المرجع السابق، ص 233.

4-بايلك الشرق : يقع من شرقي دار السلطان وبايلك تيطري، كان أكبر المقاطعات والأقاليم وكانت عاصمته قسنطينة[1] .

كانت علاقة الحكومة برعاياها غير مباشرة، وفي خضم علاقتها بقبائل الونشريس، فقد ذكر بسام العسلي أن حسن أغا[2]، اعتمد على قبائل وسط الجزائر في مواجهة الإسبان في مستغانم، وفي عام 1692م ساعدت قبائل الونشريس في هزيمة السلطان المغربي إسماعيل هزيمة نكراء كادت تقضي عليه.[3]

وقد ذكر الحسن الوزان أن جبل الونشريس كان بمثابة قاعدة عسكرية دائمة وثابتة، قوامها عشرين ألف مقاتل[4]، وحسب ما ذكره أستاذ سحنون أن الطابع الطرقي الديني قد ساعد في التقارب بين الونشريس والدولة المركزية في الجزائر، فالمنطقة تتبع الطريقة القادرية التي تعترف بالدولة العثمانية وعداء السلطة في الجزائر للدول المجاورة خاصة المغرب، الذي يطمع في التوسع حتي الونشريس، لذلك لم تخلو عملية عسكرية بين المغرب والجزائر إلا وكانت منطقة الونشريس وسرسو مسرحا تطلبته واجبات الحرب.[5]

ونظرا لسياسة التي اعتمدتها الدولة لتسيير شؤونها على القبائل حمل في طياته بعض المشاكل وزرع الخلاف بين القبائل، خاصة بين الموالية للسلطة والتي يقودها أتراك أو عناصر كراغلة تعرف بقبائل المخزن والقبائل العشائرية ومنها قبائل منطقة الونشريس التي وجدت نفسها خارج السبطة، وأدى إلى اندلاع حركات عصيان في كامل الجزائر، وفي فترات متفاوتة[6]، وحدثت قطيعة بين قبائل الداخل ودار السلطان السلطان وجعل قبائل الونشريس تظهر عدائها للدولة، ففي القرن الثامن عشر وصف أحد المؤرخين

[1]- وليام شالر، مذكرات وليام شالر (1816-1824)، تع وتع: إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982 ص ص 27-38.

[2]- **حسن أغا:** عين باي لارباي (أمير الأمراء) على الجزائر سنة 1535، تمتعت فترته بنوع من الاستقرار وذلك لسمعة والده، ينظر : بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية، دار النفائس بيروت، 1983، ص ص: 154-155 .

[3]- المرجع نفسه، ص ص 154-160 .

[4]- حسن بن محمد الوزاني، المصدر السابق، ص 251 .

[5]- سحنون سعيداني، المرجع السابق، ص 23 .

[6]- المرجع نفسه، ص 23 .

سكان منطقة الونشريس وخاصة أولاد بسام وأولاد عباد بالصلابة، كما أن وليام شالر[1]، لم يذكر في مذكرته أن منطقة الونشريس ليست ضمن تراب الدولة، ويرى اسماعيل العربي في هذا الوصف محاولة لنزع صيغة الدولة على الجزائر وحصرها في مدينة الجزائر والمدن الرئيسية.[2]

وبهذا تميز القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بانتشار الكوارث وذلك يعود لكثرة الحروب والهجمات التي تعرضت لها الجزائر، كما رافق هذه المرحلة انتشار الأمراض الفتاكة، فقد ذكر الرحالة الذين زاروا الجزائر بأن الطاعون ظل مرادفا للحكم العثماني في الجزائر، بالإضافة إلى انتهاج سياسة اقتصادية قوامها تصدير المزيد من المحاصيل الزراعية خارج البلاد عن طريق الشركات الأوروبية والمحتكرين اليهود في الوقت الذي كانت فيه البلاد معرضة للمجاعة نتيجة للجفاف[3].

وحاول الداي حسين (1818– 1830) تدارك الأخطاء بعد الاضطرابات الداخلية التي عرفتها الجزائر شرقا وغربا، إلى جانب الاعتداء الإنجليزي الهولندي الذي أطلق عليه الحملة الإنجليزية 1816 م وسجل تفاصيلها وليام شالر[4].

وتقوم هاته السياسة بإشراك القبائل في بسط نفوذها، لذلك سعت إلى منح أحد قادة الونشريس والسرسو البرنوس الأحمر[5]، ونصبت جلول بن فرحات[6] آغا على منطقة الونشريس والسرسو، والتقاليد تلزم الباي أن يسلمه البرنوس بنفسه والذي قام به باي وهران وأدى ذلك إلى صراع في أكبر قبيلة في منطقة الونشريس والسرسو، لكن الأغا جلول بن فرحات استطاع إخماده.

---

[1]- **وليام شالر**: (1778 -1833) ولد بالولايات المتحدة وتوفي بكوبا، عمل قنصل للولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر، عاصر ثلاث دايات، كما عاصر الحرب التي أعلنتها بريطانيا على الجزائر عام 1816، صدرت مذكرته بالنسخة الأصلية 1826 وترجم الى الفرنسية 1830 ونقله الى العربية اسماعيل العربي ونشره 1982، ينظر : وليام شالر، المصدر السابق، ص 27 .

[2]- المصدر نفسه، ص 28 .

[3]- سحنون سعيداني، المرجع السابق، ص 25 .

[4]- هي عبارة عن حملة عسكرية شنتها القوات الإنجليزية بتحالف مع القوات الهولندية، تندرج ضمن عملية محاربة القرصنة، التي أشار أشار اليها مؤتمر فيينا، ينظر : وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 127-192 .

[5]- **البرنوس الأحمر**: عبارة عن لباس يمنح للأغا الذي تعينه الدولة لتولي منصب سياسي، ويمنح لقب شيخ العرب، ينظر: سحنون سعيداني، المرجع السابق، ص 26.

[6]- جلول بن فرحات (1779 -1854): ينتمي لقبيلة أولاد عياد التي تستقر بالونشريس، ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

ازدياد تكالب أوروبا على الجزائر وتحطيم الأسطول الجزائري سنة 1827 م في موقعة نافرين والحصار الفرنسي الذي استمر لسنتين ونصف من إضعاف الجزائر واحتلالها سنة 1830.[1]

المبحث الثالث: بدايات الاحتلال الفرنسي لمنطقة الونشريس والسرسو1840-1844:

3-1- التوسع العسكري(1840-1842):

اعتمد الاستعمار الفرنسي خلال احتلاله لهذه المنطقة على التوسع العسكري الذي رافقته المجازر الدموية التي عرفها سكان المنطقة، فبالرغم من أهمية المنطقة إلاّ أنها ظلت قلعة حصينة بسبب وقوعها في سلسلة جبال صعبة كانت بمنأى عن الاستعمار وأصبحت قواعد خلفية لمواجهة الجيش الفرنسي، فتحول جنوبه إلى عاصمة الأمير عبد القادر التي قدمت قبائلها الطاعة للأمير وبايعته دون أي تردد[2]، وجعلها قاعدة مقاومته بعد استشارة "ليون روش" لسهولة الاتصال بجميع الجهات وإشرافها على الحافة الصحراء[3]، كما كان للقبائل المنطقة قسطا كبيرًا في دعم مقاومة الأمير عبد القادر فتنوعت أشكال ذلك الدعم، سواء من حيث التزامهم بدفع الضرائب والرسوم للأمير عبد القادر أومن خلال دعمهم له في تشكيل الجيش بالفرسان والمشاة، ولعل من بين الأمثلة التي توفرت لدينا فيها معطيات موثقة تاريخيا، ما جاء في بعض التقارير المؤرخة بين سنتي 1838و1840 حول نسبة مشاركة بعض قبائل منطقة الونشريس في دعم قوات الأمير عبد القادر بالجنود، كما هو موضح في الجدول التالي: [4]

---

[1]- ايف لاكوست وآخرون، المرجع السابق، ص 173.

[2]- بليل محمد، اسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية عبر التاريخ، مجلة أبحاث، ع.2، دار الثقافة، تسيمسلت، 2013، ص63.

[3]- **ليون روش**: (**Léon Roches**)أحد جواسيس الذين دستهم المصالح الفرنسية في صفوف المقاومة أصبح اليد اليمنى للأمير عبد القادر حاول خلق صراع طرقي بين الأمير والزوايا بعين ماضي وشمال الصحراء، ينظر: اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص: 228-229.

[4]- عبد القادر دحدوح، تسمسيلت " محطات تاريخية ومواقع أثرية"، منشورات دار السهل، 2009، ص ص: 32-33.

جدول يلخص نسبة مشاركة بعض قبائل منطقة الونشريس في دعم قوات الأمير عبد القادر

اسم القبيلة	الجنود			عدد الخيام
	المشاة	الفرسان	المجموع	
اولاد بسام	50	50	100	150
أولاد بوسليمان(لرجام)	70	30	100	100
المعاصم	30	100	130	100
الواتة(لرجام)	40	/	40	70
مايدة (تسيمسلت)	40	80	120	140
غرلية (لرجام)	40	70	110	140
أولاد عياد	40	90	130	/
الحمر(العماري)	60	20	80	/
بني تيغرين (سيدي العنتري)	50	100	150	200
أولاد لكرد	60	100	160	250
حلوية	40	100	140	140
الكرايش	60	100	160	200
بني لنط	50	200	250	210
أولاد علال	40	100	140	150
بني وراغ	100	300	400	400
المهال	30	100	130	200
المجموع	800	1540	2340	2450

وقد بدأ الاحتلال الفرنسي الفعلي للمنطقة مع نقض الجنرال بيجو لمعاهدة "تافنة" 1839 مع الأمير بمهاجمة سهل متيجة وضواحي مدينة الجزائر[1]، وهذه العملية ذكرها الجنرال "بيجو"[2] في مشروعه الذي

[1] -Alexandre Bellemare, Abdelkader sa vie politique et militaire, Libraire de Hachette et Cie, Paris, 1863, pp 266-267.

[2] – **توماس روبير بيجو(1774–1849)**: عين حاكم عام للجزائر 1841م بعدما أقنع البرلمان الفرنسي بخطته لإدارة حرب الجزائر، صاحب سياسة الأرض المحروقة، ينظر: بسام العسلي، المارشال بيجو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط.2، 1983، ص 9.

أعلن عليه أمام البرلمان الفرنسي بمناسبة تعيينه الحاكم العام بتاريخ 15-01- 1840، وقد جاء فيه ما نصه "أن فرنسا إذا أرادت أن تستمر بالجزائر لايجب عليها أن تبقى على السواحل وتضع حاميات قوية حولها، لكن على القوات الفرنسية أن تبادر بالهجوم على قواعد الأمير.[1]

كما أعلن الجنرال عن مشروعه الكبير الذي يقوم على ضرب البنية الاقتصادية للقبائل من خلال الاحتكار الشامل وتسخير الإنسان وتجريده من أملاكه فجاء فيه ما نصه:«لا يجب أن نجري وراء العرب...، بل منعهم من أن يبذروا أرضهم وأن يحصدوا محاصيلهم...» [2]، وتضمنت خطة "بيجو" العسكرية احتلال مدن الأمير عبد القادر وحصونه، فقسم المهام بين جنرالاته وأطلق على خطته "لعبة الحواجز"[3]، لكن الوزارة الحربية عارضت مشروعه بسبب النفقات الحربية الكبيرة وازديادها بالجزائر، لذا قرر "بيجو" الاعتماد على مصادر أخرى غير ميزانية الدولة والاستيلاء على ممتلكات القبائل الرافضة للاستسلام وممارسة بيع الأسرى.[4]

وزع الجنرال بيجو المهام، فأوكل مهمة الزحف على غرب الونشريس إلى "لاموريسيار"[5] Christophe. Louis. Léon. de la Moriciere(1806-1858) ومهمة الزحف على مليانة ومتيجة بما ذلك المناطق الشرقية للونشريس لـ"شونقارنسيه"[6]، Nicolas-Anne-Théodule Changarnier)

---

[1]– شارل وربر آجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 35.

[2]- شارل وربر آجرون، المرجع السابق، ص 35.

[3]- سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 35.

[4]- إيف لاكوست وآخرون، المرجع السابق، ص ص: 285-286.

[5]- **كريستوف. لويس.ليو. جيشودي لامورسيار**: التحق بالجزائر 1830، وشارك في الحملة الفرنسية عليها، تم تعيينه لتسيير شؤون الأهالي 1833، ثم عُين حاكم عام على وهران؛ قاد عدة حروب ضد مدن غرب الجزائر ينظر:

Paul Azan, Les grande Soldats, publication de comité national, Alger,1930, pp : 80-88.

[6]- **نيكولاس_آن ثيودول شانقرنييه**: شارك في حصار قسنطينة، وبعد تعيين بيجو1840 كلفه بمحاصرة مقاومة في سهول شلف، اشتهر بمجازره بالونشريس، ينظر:

P-Azan (op,cit), pp :88-94.

(1793-1877)ومهمة الزحف نحوسهل شلف إلى "سانت آرنو"[1]، (Armand Jacques Achille Arnaud_Leroy de Saint بحيث كانت هذه المنطقة تمثل حاجزًا طبيعيا منيعا وقاعدة لمواجهة الفرنسيين من قبل الأمير عبد القادر.[2]

لجأ "بيجو" إلى توظيف الدين بسبب تعدد الطرق الدينية بمنطقة الونشريس، فجنوب الونشريس منطقة تتبع الطريقة القادرية وشمالا الطريقة الدرقاوية، وجنوب السرسو الطريقة التيجانية، حصل الجنرال "بيجو" على فتوى من علماء المشرق مفادها أنه في حالة تعرض المسلمين إلى غزو عدو، فهم ملزمين بجهاده ما دام هناك أمل لطرده، ولكن إذا كانت لا قدرة لهم على طرده ويتسبب في نشر المعاناة وتفكيك المجتمع فعليهم أن يرضوا بالعيش تحت سلطة الغازي ولا تعارض ممارسة شعائرهم.[3]

قد كلف الجنرال بيجو القائد لامورسيار باحتلال سواحل مستغانم ثم زحف على تاقدمت 1841 بقوة بلغ عدد أفرادها أكثر من عشرين ألف، ولما علم الأمير بخبرها أمر أهل عاصمته بالجلاء منها فجمعوا أمتعتهم والمؤن والذخيرة الحربية وتسلقوا الجبال المجاورة لها بعد أن أشعلوا النار في مساكنهم، تحولت تاقدمت إلى سحابة هائلة من الدخان والرماد[4]، وتتضمن هذه الخطة وضع جدار دفاعي ثاني بعد الجدار الأول الذي وضعه "كلوزيل" على السواحل ويتمثل في احتلال مدن السهول العليا من تلمسان إلى "بوغار" مرورا بمعسكر ثم تاقدمت، وكان اختيار "تازا" و"بوغار" بهدف مراقبة القبائل والسيطرة عليها، بعد تحطيم قلعة "بوغار". تابعت قوات الاستعمار الفرنسي سيرها نحو"تازا" فكان وصولها إليها خلال شهر ماي 1841م، ووصفها "ايسكوت":« هي مثل تاقدمت تحولت إلى

---

[1]- **جاك لروا سانت آرنوا**(Arnaud_Armand Jacques Achille Leroy de Saint): (1798-1854)، عسكري نقد خطة "بيجو" بسهل شلف، شارك في مجازر إبادة قبيلة أولاد رياح، ينظر:

Narcisse Faucon, Livre d'or l'Algérie :Histoire Politique, Militaire, Administrative, Tome1, Paris, 1889, pp :541-542.

[2]- محمد بليل، المرجع السابق، ص 63.

[3] -P-Azan (op,cit), p67.

[4]- بليل محمد، المرجع السابق، ص 63.

باب بلقع بناء على أوامر السلطان عبد القادر...، ووجدنا أعمدة الدخان تتصاعد وأكوام الرماد، فتراجع الجيش باتجاه مليانة وكان ذلك في 27 ماي 1841» [1].

3-2- التواجد الفعلي الفرنسي في المنطقة 1842-1844

أعطى الجنرال "بيجو" الأوامر باحتلال مدينة تاقدمت في 27 ماي 1842، ومع اقتراب القوات الفرنسية، كانت المدينة قد أخليت وأحرقت من طرف سكانها، فقد أدى احتلال مدينة تاقدمت إلى فتح ثغرة كبيرة بغرب منطقة الونشريس والسرسو باعتبارها العاصمة الرسمية للأمير عبد القادر وذلك لموقعها الجغرافي في أقصى غرب الونشريس. [2]

وبالموازاة كان الجيش الفرنسي قد حقق انتصارا واحتل مدينة مليانة وزحف على جبال الونشريس، حيث ضم منطقة "ثنية الأحد" من الجهة الشمالية الشرقية بقيادة الجنرال "شانقرنييه" التي كانت تتحصن فيه القبائل الرافضة للاحتلال، حيث اقتنع "شانقرنييه" أن السكان الجبليين لا زالوا واقفين مع المقاومة[3]، وكانت وجهة الجيش تاقدمت لكنه في "عين سمبسيل" جنوب الونشريس اصطدم بمقاومة كبيرة أوقفت زحفه، فأشرك "عمر بن فرحات"[4]، وجعله طعما للقبائل، لكن خطة "بيجو" فشلت رغم الخسارة الكبيرة التي تلقتها القبائل ويقول "بيجو" بهذا الصدد: « لقد أفسد تمرد القبائل خطتنا» ، وفي عودته إلى البليدة عمل على بيع الأسرى.[5]

بدأت قوات الجيش الإفريقي بقيادة "بيجو" تتحرك عبر طول سهل شلف غربا لإخضاع القبائل ومصادرة أملاكهم وهذا بعدما سيطر الجنرال "شانقرنييه" على قبيلة متنقلة اتهمها بالتآمر ضد فرنسا فقام بأسر ثلاثة ألاف فرد، و700 حصان إلى جانب قطعانهم ولكن مع اشتداد المقاومة واتساع نطاقها من

---

[1]- بليل محمد، المرجع السابق، ، ص 64.

[2]- سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 37.

[3]- بليل محمد، المرجع السابق، ص 63.

[4]- **عمر بن فرحات**: أخ الآغا جلول بن فرحات، يعرف بآغا فرنسا، تعاون مع الاستعمار الفرنسي للإيقاع بالقبائل المتمردة، ينظر: المرجع السابق، ص37.

[5]- قام الجنرال "بيجو" بإطلاق الأسرى بعيداً عن موطنهم وفي جملتهم الكثير من النساء والأطفال، وكان يهدف من وراء هذه العملية تشتيت أفراد قبيلة بني مايدة وإبعاد سكانها، ينظر: إيف لاكوست وآخرون، المرجع السابق، ص 285.

مليانة حتى مشارف مستغانم ومن جبل الونشريس إلى جبال الظهرة وظهور الخليفة "بن علال بن مبارك" الذي نجح في القضاء على بن فرحات وبعد هزيمة "شانقرنييه" عين الجنرال "بيجو" مكانه "سانت آرنو" الذي حاول السيطرة على منطقة ثنية الأحد مرة جديدة.[1]

ومع سنة 1843 أعطى بيجو الأوامر ببناء القلاع وترميم الحصون وبناء تجمعات استيطانية للمعمرين الوافدين مؤكدا لهم تدعيمهم ومصادرة آراضي القبائل المتمردة ومنحها لهم بالمجان وتنصيب حاميات عسكرية في الأصنام والثنية وحزم أمره للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر بالمنطقة[2]، من خلال تطبيقها لهذه السياسة استطاعت فرنسا أن تحقق لأول مرة اتصالا بريا بين مدينة الجزائر ووهران منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر[3].

إن وضع حد للمقاومة في المنطقة ليس بالأمر السهل تطلب من الجيش الفرنسي القضاء على عاصمة الأمير بعد اكتشاف الزمالة عاصمته المتنقلة[4] المدينة السيارة التي أرعبت جنود الاحتلال وجعلهم في حيرة من أمرهم بقدرة هذا الزعيم الجزائري على تحدي الجيش، وبهذف القضاء عليها تتبع الدوق "دومال" (16 ماي 1843)، تتبع خط سير هذه المدينة بخيانة من بعض أعضاء المقاومة وعندما كان الأمير يراقب تحركات قوات "لامور سيار" بالقرب من تاقدمت وكان تحركات الجيوش الفرنسية مستفيدة من رياح السيكو[5]، الذي كانت يهب على المنطقة في أوقات معينة لم يتفطن سكان الزمالة بالمداهمة الفرنسية يوم 26ماي1844، إلا أن قوات الجيش الفرنسي لم تستطع مباغتة القيادة العسكرية لجيش الأمير عبد القادر التي نجت لكن كلفها ثلاثة ألاف أسير وخسارة آلاف الرؤوس من الماشية بعد سقوط

---

[1]- بليل محمد، المرجع السابق، ص 78.

[2]- سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 38.

[3]- J.Harmond, Domination et Colonisation, Ranst ,lamassions éditeur, Paris, 1910, p323.

[4]- **الزمالة:** مدينة متحركة حسب وصف المؤرخين الفرنسيين، تضم قبائل بأكملها تعدادها يزيد عن 20 ألف نسمة، ينظر: المرجع السابق، ص 38.

[5]- **السيروكو:** رياح رملية تهب من الجنوب إلى الشمال مصحوبة بزوابع رملية تمنع الرؤية من مسافات قريبة ذات اللون الأحمر، ينظر: ينظر: حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر، ط.2، دمشق، مطبعة الإنشاء، 1968، ص 74.

الزمالة تحول الأمير إلى مطارد من طرف القوات الفرنسية التي راهنت على استسلامه لأنهاء المقاومة المسلحة. [1]

اكتفت المصادر الفرنسية بوصف الواقعة لكن المصادر الأرشيفية الفرنسية خاصة الأرشيف الحربي يحتفظ بالمراسلات التي حررها قادة الجيش المداهمة التي فضحت تصرفات الوحشية للجيش الفرنسي في تعامله مع الأسرى. [2]

المبحث الرابع: جرائم الاحتلال الفرنسي بمنطقة الونشريس والسرسو

لقد تجسدت بربرية الاحتلال الفرنسي الغير إنسانية في حق الجزائريين من خلال استعمال القوة العسكرية للسيطرة على المجتمع وفرض الأمن الاستعماري وارتكاب المجازر في حق الإنسان والحيوان والبيئة[3]، وكانت منطقة الونشريس من بين المناطق التي صب عليها بيجو وقادته العسكريين لامورسيار، شننقارنييه، بليسيه، وسانت أرنو جم غضبهم عليهم من خلال إتباع خطة بيجو العسكرية "سياسة الأرض المحروقة" وتحطيم أملاك كل القبائل المساندة للمقاومات الشعبية للتوسع في المناطق الداخلية والهضاب العليا.

كما مارس الاستعمار أساليب جهنمية كحرق المحاصيل الزراعية والغابات وإبادة السكان العزل في دواويرهم وقراهم وهناك العديد من الأمثلة تحدثت عنها تقارير أرشيفية وشهادات القادة مرتكبي تلك الجرائم أمثال "بيجو" وسانت آرنو، إضافة للمصادر التي وثقت عمليات هذه الجرائم[4]، من بينها تلك التي ذكرها "الكونت سانت آرنو" في مذكراته، حيث قال بهذا الصدد:«في سنة 1841 بقينا نحارب جيش الأمير عبد القادر، لقد أحرقنا الدواوير والقرى وكل الخيم، أحرقنا كل شيء، دمرنا كل شيء، آه! إنها الحرب...الحرب، الكثير من النساء والأطفال لجأوا إلى ثلوج الأطلس، ماتوا إما من الجوع أو

[1]-سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 39.

[2]- يحي بوعزيز وميكيل دوابيالزا، الجديد في علاقة الأمير عبد القادر مع إسبانيا، دار البعث، قسنطينة، 1982، ص 20.

[3]- محمد الآمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصرة "دراسات ووثائق"، ط.4، البصائر الجديد، 2013، ص 93.

[4]-بليل محمد، المرجع السابق، ص78.

البرد...!» [1]، وقد عبر "بيجو" عن ذلك في رسالة بعث بها إلى الأمير عبد القادر جاء فيها « لقد جعلتني أعمدة الدخان المتصاعدة، والسماء الحمراء بفعل النيران أزف لك خبر إبادة سكان المناطق التي تركتنا بها على آخرهم، رغم أنهم استسلموا لنا لأننا نريد استسلامها كليا أو إبادتها كليا، وهذا ما فعلته في الونشريس»[2].

ارتكبت فرنسا مجازر متعددة ومتنوعة تحدثت عنها التقارير الأرشيفية الفرنسية نفسها، تعذر علينا الحصول عليها، بالإضافة إلى المصادر وشهادات مرتكبيها التي وثقت عمليات هذه الجرائم، ونذكر نماذج منها كالآتي:

4-1- مجزرتي تاقدمت وبني مايدة

4-1-أ- مجزرة تاقدمت (21 ماي 1841): تضاف مجزرة تاقدمت إلى المجازر الرهيبة والوحشية التي قام بها الجيش الفرنسي، ولكنها تميزت على غيرها، فالمؤرخون الفرنسيون لم يذكروا أحداثها وحاولوا التستر على القائد الفرنسي الذي ارتكب المجزرة وحتى القادة العسكريين بدورهم لم يسجلوا في مذكراتهم ذلك، أما الوحيد الذي انفرد بذكرها هو الكولونيل "اسكوت" الذي لازم الأمير عبد القادر سنة 1841م، ونقل تفاصيلها. [3]

25 ماي 1941 جمع المارشال "بيجو" مجموعة من الجنود وقصد «تاقدمت» بحملة مزودة من 20. ألف رجل نزلت بميناء مستغانم التحقت بقوات "لاموربيسار" والتي كلفت بالهجوم على «تاقدمت»[4]، ويظهر هنا الدور البارز الذي لعبه الجاسوس«ليون روش»، الذي التحق بالجيش الفرنسي بعد جمعه لكل المعلومات واطلاعه على نقاط قوة المسلمين وضعفهم، خاصة وأنه قد كلف من قبلهم

[1]- سانت آرنو، مذكرات سانت آرنو(1832-1841)، تر: عبد القادر ليفا، بداه المهدي، طبعة وزارة المجاهدين، 2009، ص 80-85.

[2] -Jacques Morel, Calendrier des Crimes de la France d'outre-mer, Version 0.51, 14 avril 2005, p46.

[3]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 27.

[4]- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 55.

بمهمة التفتيش عن مصانع الأسلحة المتمركزة في المدن وعند وصول قوات الجنرال "بيجو"[1]، وتتمثل الواقعة في توزيع قواته بين المنازل المهدمة وعلى طرقاتها المهجورة، كما أمر الجنرال "بيجو" سلاح المهندسين بتفجير الألغام لتدمير التحصينات، ولم يجد الجيش من يقتله فصب جم غضبه على الكلاب[2] وهذا حسب ما ذكره "اسكوت"، قائلا: «لو أراد الملك لويس فيليب مكافأة جيشه الباسل على الحملة التي شنها على تاقدمت فإني أنصحه أن يصدر لهذه العملية ميدالية ينقش على أحد وجهها عبارة تاقدمت والأخرى صورة كلب»[3].

4-1-ب- مجزرة بني مايدة (1842/08/02): ارتكبت هذه المجزرة بتاريخ 02 أوت 1842 في "سمبسيل"[4]، ضد قبيلة بني مايدة بحجة أنها كانت تعرقل تحركات الجيش، فكانت بمثابة قواعد خلفية لأمير عبد القادر، ولذلك قصدهم الجيش الفرنسي في أول حملة بقيادة "بيجو" بنفسه والجنرال "شنقارنييه" بتاريخ 01جويلية 1842، فأسر منهم 3 آلاف شخص من مختلف الأعمار، رجال ونساء وصادر 40ألف غنم وابقار وخيل وغيرها، ثم أطلق سراح الأسرى بينما وزعت أملاكهم على الدواوير الموالية للاستعمار[5]، ورغم مقاومة القبيلة في صد العدوان فقد كانت الحصيلة ثقيلة على القبيلة، وقد عبر "بيجو" عن ذلك في رسالة بعث بها إلى الأمير عبد القادر، جاء فيها ما نصه:« لقد طرت من الفرح وأنا أرى أعمدة الدخان تتطاير، لقد أبدنا قبيلة بأكملها لأننا نريد استسلاما كليا أوإبادة كلية» [6].

---

[1]- الحاج مصطفى ابن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح، تق، تع:يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص 147.

[2]- سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 42.

[3]- بوعناني العربي، المقاومة الشعبية في منطقة تيارت (1830-1908) وموقف الزعامات القبلية والدينية من الاستعمار الفرنسي، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2018-2019، ص 122.

[4]- **سمبسيل**: عين سمبسيل على منطقة تكثر بها مصادر المياه والعيون، تلجأ إليها قبيلة بني مايدة صيفا هربا من حرارة السرسو، ينظر: سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 40.

[5]- عبد القادر دحدوح، تسمسيلت " محطات تاريخية ومواقع أثرية"، المرجع السابق، ص 63.

[6]- سعيداني سحنون، اسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية عبر التاريخ، مجلة أبحاث، ع.2، دار الثقافة، تسيمسيلت، 2013، ص 57.

بينها ذهب المؤرخ الفرنسي(Bageja) إلى إخفاء الحقيقة، حيث أنه ذكر الواقعة دون الوقوف عند فصولها وحاول تبرئة الاستعمار من جرائمه، وذكر أن "شنقارنييه" أطلق سراح الأسرى قرب مشارف متيجة[1]، وهذا عكس ما ذكره الرحالة الألماني "يوهان كارل بيرنت"، الذي ذكر أن تجارة الرقيق كانت منتشرة ومزدهرة وقد سيطر عليها اليهود، فالأطفال والنساء كانوا سلعة تباع ويزداد الطلب عليها، فلقد حاول الاستعمار تفريغ المنطقة من سكانها[2]، وذكر الضابط "اسكوت" في مذكراته أنه لما مر بمنطقة سمبسيل نواحي قبيلة مايدة (تسيمسلت) وجدها خرابا ودمارا[3].

4-2- مجزرة غارة الفراشيش[4] (1846/06/18): توصف مأساة مغارة الظهرة من طرف العسكريين والمؤرخين الفرنسيين بأنها احدى الحلقات الرهيبة في الحروب الإفريقية، ويعترف خلالها الجلادون بحقدهم الصليبي، إذ كان حرق قبائل الظهرة صدى واسع وقتها، حيث تم إحراق ما يزيد عن 732 شهيد ليموت ما نجا منهم اختناقا بالدخان، وهي من أبشع جرائم الإبادة الجماعية للسكان، وكانت مغارة الظهرة مسرحا لهذه الجريمة بقيادة «بيلسيه»، وهي عبارة عن مغارة كبيرة كان يلجأ إليها أولاد رياح تجنبا للخطر الفرنسي بسبب رفضهم للاستسلام[5].

لقد أعطى الرحالة الألماني وصف دقيقا للمغارة خلال زيارته لها واطلاعه على التقارير التي وضعت عنها، فكتب حول الموضوع يقول:"لا زالت التشققات سوداء من آثر الدخان، إن العسكريين الذين أرغموا على دخول المغارة لم يتحملوا منظر الجريمة بسبب حجم المآسي التي تجاوزت كل طاقات البشر والموت لم يترك أحدا، لقد رحل أولاد رياح وهم يصارعون من أجل البقاء...عجوز تحمل جرة تحاول

[1]- سعيداني سحنون، اسهامات منطقة الونشريس، المرجع السابق، ص 41.

[2]- يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، تر وتح: أبوالعيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009، ص ص: 33-34.

[3]- المرجع السابق، ص 41.

[4]- **الفراشيش:** نبات يتسلق أوراقه الصخور وهي مغارة تقع في حدود جبال الظهرة وجبال الونشريس، ينظر: هانريش فون مالتسان، مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، طبعة خاصة، دار النهضة، 2009، ص 236.

[5]- محمد الآمين بلغيث، المرجع السابق، ص 96.

شرب الماء، وامرأة تصارع ثورا مسعورا دفاعا عن رضيعها...[1]، لقد ارتكب الاستعمار إبادة وجريمة لم يتحمل الرحالة الألماني فضاعتها وسجل تأبين ورثاء للقبيلة المحترقة[2].

لقد حركت هذه الجريمة الضمير الأوربي ليتدخل وزير الحربية الفرنسي ويوبخ القائد"بيلسيه" على جريمته، لكن هذا الأخير لقي مؤازرة من الكثير من الجنرالات خاصة "بيجو" الذي دافع عنه، كما بعث له "سانت آرنو" رسالة تشجيعية جاء فيها ما نصه:«لا أحد كان يدري كم كانت تحتوي المغارة، خمس مئة مقاتل لن يتعرضوا مستقبلاً للفرنسيين»[3].

[1]- هانريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص 236.

[2]- كتب مالتسان حول الموضوع ما نصه: " كانت الأرض المسودة من الدخان تحتضن الجياد والرجال والنساء والخرفان والماعز والأسلحة والألبسة، وكلها محترقة ملفوحة أواستحالت رمادا، هكذا انتهت قبيلة أولاد رياح فقد لفظت أنفاسها الأخيرة في هذه المغارات المخيفة وهي تعاني عذابا آليما يعجز القلم عن وصفه تصارع البقاء"، ينظر: هانريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص ص: 236-240.

[3]- سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 44.

الفصل الثاني: التوسع الاستيطاني بالمنطقة ورد فعل المقاومة الجزائرية (1844-1870)

المبحث الأول: الاستيطان الفرنسي بالجزائر

1-1- مفهومه

1-2- أشكاله

المبحث الثاني: تهيئة منطقة الونشريس والسرسو

2-1- دور المكاتب العربية(1844_1870)

2-2- دور قانون سيناتوس كونسلت في تهيئة المنطقة

المبحث الثالث : مظاهر المقاومة في منطقة الونشريس والسرسو

3-1- مقاومة الآغا جلول بن فرحات

3-2- مقاومة الشريف بومعزة (1845-1847)

المبحث الأول: الاستيطان الفرنسي بالجزائر

شهدت الجزائر احتلالا استيطانيا منذ سنة 1830 حيث سعى هذا الاحتلال إلى تكريس كل جهوده من أجل الاستحواذ على الجزائر من خلال فرض السيطرة والتحكم فيها، وذلك لا يتحقق إلا بواسطة تجسيد سياسة جديدة والمتمثلة في الاستعمار الاستيطاني وسن مجموعة من قوانين تنظم تلك العملية الاستيطانية. إذ ينبغي علينا إدراك تصور المستعمر الاستيطاني حتى يتسنى لنا معرفة التنظيمات ووضع مفاهيم لتحديد قواعد مفهوم الاستيطان.

عُرف الاستيطان على أنه انتقال مجموعات بشرية من مكان إلى آخر أو إعمار الأماكن المهجورة أو البحث في استيطان الجماعات البشرية في مناطق معينة من حيث علاقاتهم بالبيئة الجغرافية أو البحث في توزيع الإنسان جغرافيا، ويطلق مصطلح الاستيطان على كل عملية تحاول من خلالها مجموعة بشرية القضاء على وطن بهدف الاستيلاء على أرضه[1]، وقد انتشرت هذه الظاهرة هذا نتيجة للثورة الصناعية التي اجتاحت أوربا وهو مصطلح حديث الاستعمال[2]، يعتبر من الأساليب الاستعمارية التي يعتمد فيها على توطين أكبر عدد ممكن من الفرنسيين والأوربيين بالجزائر، ومنذ الاحتلال اعتبرت الدولة الفرنسية نفسها هي وريثة الدولة الجزائرية العثمانية فاستولت بذلك على كل ما كان ملكا لها. [3]

وقد وافقت حركة الاستيطان هذه المناقشات الفكرية، وظهور نظريات متعددة حول المناطق الأجدر بالاستيطان، وقد ظهرت تبريرات كثيرة للاحتلال الاستيطاني، فنجد أن المدرسة الفرنسية سعى مفكروها لإيجاد تفسيرات قانونية للاستيطان بهدف إيجاد أرضية خصبة وملائمة للاحتلال الأجنبي. [4]

---

[1]- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج.1، د.ط، دار الهدى، بيروت، (د ت)، ص182.

[2]- صغيري مريم، الاستيطان الفرنسي ودوره في تفكيك بنية المجتمع الجزائري (1830-1862)، مذكرة ماستر تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2016-2017، ص 6.

[3]- أبو قاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر "المقاومة والتحرير"(1830-1962)، ط.1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2007، ص77.

[4]-صغيري مريم، المرجع السابق، ص 6.

والاستيطان الفرنسي حسب المدرسة الفرنسية، هو امتلاك الأرض والثروات التي فوقها أو في باطنها، وذلك للإهمال الذي كان يعانيه السطح أولا أو لأنه كان يستغل بطريقة لا تحقق منفعة كبيرة، ويظهر المستوطن على أنه مستثمر يسعى لتحقيق تلك المنفعة وجاء إما ليعمر تلك المناطق أو ليكون وسيط بين الأهالي المزارعين والأسواق العالمية، ولقد تعددت نشاطاته في القطاعات الاقتصادية الثلاث، إذ لا تعطيه صفة الاستيطان وإنتاج الثروة، كما لا يحصل على صفة المعمر أو المستوطن، إلا عندما يتحول إلى أداة لتحقيق السياسة الاستعمارية ويصبح شريكا في إدارة المستوطنة وفق ميثاق استعماري تطبقه الحكومات. [1]

أما مفهوم المستعمرة فتعني في المصطلح الأوربي ممتلكات الوطن لا جزء منه، وحسب المدرسة الفرنسية فهي كل المناطق التي هاجر إليها الأوربيون، ومارسوا عليها نشاطاتهم الاقتصادية المختلفة مع الاحتفاظ بصلتهم بوطنهم الأم، أما الممتلكات فهي المناطق التي تعرضت للاحتلال ويعيش عليها سكان غير منسجمين مع المستعمر ويتحولون إلى رعايا في المنظومة الجديدة، أي عن طريق تطوير الأرض أو عن طريق الاستغلال المباشر[2]، وفرنسا ليس لها مستعمرات ولكن لها ممتلكات حصلت عليها بالقوة، وإذا كانت فرنسا تبحث عن مستعمرات ينبغي أن تشجع الهجرة البيضاء وتكون بمثابة منفذ للأوربيين.[3]

ولا يكفي تهجير السكان بل ينبغي نقل قيمهم وعاداتهم، ونمط عيشهم وفرضه على البلد المهجر إليه: إنه الغزو المحلي وفرض الدولة الاستعمارية نفسها ضروري، فعليها توسيع سلطتها في تلك المناطق

[1] - J_ Harmond , Domination et colonisation, Ernest Flammarion éditeur Paris 1910, pp 91-92.

[2] -Ibid, p 108.

[3] - سعيداني سحنون، الإستيطان الفرنسي في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008 .

ومراقبة كل الأفكار والأنشطة الممارسة في مستعمراتها، كما ينبغي أن تنقل لها كل نشاطاتها وحتى أدواتها من قضاة وإداريين وجيش لتحقيق المصلحة العليا للباد الأم.[1]

فالاستعمار في الأصل لا يختلف عن الاستعمار التقليدي بل هو نموذج آخر في الاستبداد والغزو والاحتلال، كما أن هناك ارتباط وثيق بين الظاهرتين ويتجلى ذلك في تاريخ تكوين المستعمرات الاستيطانية، حيث كان أحد دوافع الاستعمار التقليدي الذي تبنته فرنسا عكس منافستها بريطانيا التي لم تستطع أن تجاريها، ويرجع ذلك إلى أن الكيانات الاستيطانية الأوربية قد تطورت لتصبح أهم الأدوات التي يعتمد عليها استمرار النظام الاستعماري[2].

فالاستيطان شديد الصلة بالاستعمار، وهو مرحلة له وتمثل حده الأقصى ولا يتم الاستيطان إلا في بيئة ومناخ استعماري يشرف عليه ويرعاه، وهو ينهب الأرض ويملكها، والاستيطان من أقدم أشكال الاستعمار، إذ تتوافر في هذه المستعمرات نسب كبيرة من المستوطنين بسبب الهجرة من البلد الأم إلى البلد المستعمر لاستغلال الثروات والإقامة فيها.[3]

وبهذا حاول الاستعمار الفرنسي البحث عن تجربة استعمارية نموذجية في آن واحد ليؤسس عليها إمبراطوريته الاستعمارية، إذ رأى في ممتلكاته بمدغشقر[4] والهند[5] والسنغال[6] حقل تجارب، لكن ينقصها العامل البشري، ففرنسا حاولت أن تؤسس مدرستها الاستعمارية في وسط آهل بعنصر بشري يملك مقومات الحضارة لتنافس بريطانيا[7] وهولندا[1] وتحقق التفوق عليهما، واللتان نجحتا في إنشاء مستعمرات

---

[1] - J_ Harmond, (Op,Cit), p90.

[2]– الجميل شوقي، تاريخ إفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971، ص ص: 147-150.

[3]– يحي محمد بنهان، معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص 23.

[4]– **مدغشقر:** جزيرة تقع في شرق إفريقيا، ينظر: محمد الجابري، موسوعة دول العالم "حقائق وأرقام"، مجموعة النيل العربية، ط.1، القاهرة، 2000، ص 224.

[5]– **الهند:** مستعمرة بريطانيا حصلت عليها بعدما سيطرت عليها تجاريا من خلال شركة الهند الشرقية التي أسستها عام 1699، ينظر: المرجع نفسه، ص 246.

[6]– **السنغال:** مستعمرة فرنسية حصلت على استقلالها عام 1960، ينظر: المرجع نفسه، ص 158.

[7]– **بريطانيا:** مجموع جزر تقع في أوربا الغربية تشكل دولة المملكة المتحدة، ينظر: محمد الجابري، المرجع السابق، ص 247.

مستعمرات احتكارية في المناطق الاستوائية خالية من عامل السكان أو كان سكانها بدائيين لهم قابلية الزوال والانهيار لا تتوفر فيهم شروط الحضارة. [2]

يعتبر الاستعمار الفرنسي للجزائر تجربة خاصة، لذلك حاولت جعلها حقل استيطاني من خلال فرض الهيمنة الأوربية بغض النظر على أنه كان يعتمد على القوة العسكرية ويستند إلى سياسة استيطانية، تهدف إلى تغيير المعطيات البشرية والقيم الحضارية، فكانت منطقة الونشريس والسرسو جزء من ذلك الحقل الكبير الذي تعرض للغزو الفرنسي الاستيطاني سنة 1830م، والتي بدأ يطبق بالمنطقة منذ سنة 1844م. [3]

إذن فالاستيطان جزء لا يتجزأ من الاستعمار وهو فرع من فروع الظاهرة الاستعمارية لتحقيق مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية، وهو وسيلة أساسية لحل المشاكل التي يواجهها المجتمع الأوربي فهو يعبر عن قوة توسعية لشعب ما.

المبحث الثاني: أشكال الاستيطان الفرنسي بالجزائر

رأت فرنسا أن الاستيطان هو أسلوب من الأساليب العسكرية المكملة للمهمة الاحتلالية، فقد أخذت تشجع العسكريين على الاستقرار في الجزائر وإنشاء مستوطنات ومراكز استيطانية كبرى تجمع الفلاحين الأوربيين[4]، ومع بداية 1841م أتيحت للعسكريين إمكانيات واسعة لكي يتخذوا طبقا لمخططاتهم وأطماعهم ما شاءوا من المبادرات ويعدلوا المجتمع بأكمله بقوة السلاح والقوانين الجائرة،

---

[1]– **هولندا**: تسمية تطلق على الأراضي المنخفضة، ينظر: المرجع نفسه، ص 248.

[2] -J.Harmond, (Op,Cit), p91.

[3] - Xavier Yacono, les bureaux Arabes et l'évolution des genres de vie indigénes dans l'ouest de tell Algérois tome l, vol : 78, Editions Larose, Paris, 1953, p 129.

[4]– بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830–1962)، ج.1، المؤلفات للنشر، المسيلة، ط.1، 2013، ص 46، 47.

والاحتكار الشامل، وتسخير الإنسان وتجريده من أملاكه. وللاستيطان أشكال وأنواع سنناقشها من خلال هذا العنصر.

2–1)– الاستيطان العسكري: يقول "بيجو" بهذا الصدد: « بما أن الجيش هو كل شيء في إفريقيا فالسلطة الوحيدة الممكنة هي السلطة العسكرية، وتعتمد هذه السلطة على المعمرين وهم جنود مزارعين في نفس الوقت [1]، ... كما يعتمد على الجيش الذي يكاد يتعادل في وقت السلم والحرب، من حيث العدد والعتاد ومن أفراد هذا الجيش ينبغي اختيار القيادة الحاكمة» [2]، وترتكز خطط "بيجو" في الاستيطان على ثلاث قواعد أساسية :

- ✓ تشكيل لجنة من كبار القادة العسكريين الذين حاربوا في شمال إفريقيا، يكلفون بتحديد مناطق استراتيجية للاستيطان وتوزيع الأراضي ذات الجودة على حساب الجزائريين الذين أصبحوا مسخرين للخدمة في الحقول التي كانت ملك لهم وتأمين هذه المناطق، حيث تنطوي كلمة تأمين على كل الاجراءات العسكرية القمعية.
- ✓ تأسيس لجنة مدنية مكونة من خبراء زراعيين ومزارعين، توكل إليهم مهمة تحديد وتشكيل المراكز والقوى الاستيطانية النموذجية مشكلة من الشروط الضرورية كتوفر مصادر المياه والصحة والمواصلات...
- ✓ تكليف الطبوغرافيين بوضع حدود للقوى الاستيطانية بعد مصادرتها بالقوة من القبائل إما بحجة القيام بأعمال ذات مصلحة عامة من خلال استصدار مجموعة من القوانين الزجرية.

وبهذا تبنى الجنرال "بيجو" عدة أساليب، سواء تعلقت بمشروع الاستيطان أو تلك التي حددت لمواجهة المقاومة، إذ تتجلى تلك الوسائل من خلال التصريحات التي أدلى بها هذا الحاكم العام التي

[1]– **جندي مزارع**: (Soldats la Boueurs) فكرة اقترحها الجنرال "بيجو" لتشكيل قوى محصنة يحتلها كولون العسكريون من المجندين الذين تم تسريحهم وأنهوا خدمتهم العسكرية يهتمون بالزراعة ويحملون السلاح عند الضرورة لتصدي لهجمات القبائل الغير خاضعة، ينظر: بن داهة عدة، المرجع السابق، ص 117.

[2]–مصطفى الأشرف، الجزائر "الأمة والمجتمع"، تر: حنيفي بن عيسى، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص 300.

اتسمت بالعنف المفرط ضد الأهالي سواء إن شاركوا في المقاومة بالفعل أو المساندة، فمخططات هذا القائد العسكري كانت تستمد جذورها من مخططات أسلافه الرومان حين احتلوا بلاد المغرب القديم. [1]

ويظهر من خلال تصريحات "بيجو" أنه ركز على فكرة الجندي المزارع تبعا لأسلوب الرومان، لذلك نجده ينتقد اللجوء إلى الأجانب بحيث اعتمد على العسكري الذي خاض المعارك وساهم في بناء المراكز الاستيطانية، إذ تسمح له تربيته العسكرية بمواجهة أي خطر من السكان الأصليين [2]، فكان يرى بذلك أن الاستيطان جزء لا يتجزأ من العمل العسكري بل هو مرتبط به، وأنه يعتمد على التوسع خارج مدينة الجزائر والمناطق الساحلية كخطوة للاستيلاء على الأراضي الزراعية حيث صرح بهذا الصدد ما نصه: «...بما أن الجيش هو الأقوى عدة وعددا، وبما أنه يؤدي أهم الخدمات، فينبغي أن تكون له السلطة العليا وافضل سبيل لتمكينه من السلطة، هو تعيين أمبر عدد من العسكريين في السلطة العليا لا سلطة غيرهم... ولكن المدنيين [3] قد يعتبرون أنفسهم مهضومي الحقوق لذلك أرى أن تترك لهم الإدارة المدنية... » .[4]

بناءا على ما تم عرضه شرعت فرنسا خلال سنة 1841م في تطبيق فكرة انشاء القرى الزراعية واتخذت لأجل ذلك إجراءات لإنشاء مراكز التعمير العسكري، فنشرت بعض التعليمات بين الجنود، نذكر منها ما يلي: الجنود الذين أدوا سنتين أو ثلاث في الخدمة العسكرية والراغبين في أن يصبحوا معمرين يمكنهم الاستفادة من ذلك حالا، أين تمنحهم الدولة كل الوسائل الضرورية للانطلاق في حياة جديدة. [5]

---

[1]– علي عبود، الإستيطان والصراع حول ملكية الأرض (1830-19-1899) "القطاع الوهراني نموذجا"، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران، 2013-2014، ص 53.

[2]– نفسه، ص 54.

[3]– **المدنيين**: يقصد بهم الجنرال بيجو كل الأوربيين المستوطنين، ينظر: مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 301.

[4]– المرجع نفسه، ص 301

[5]– صغير مريم، المرجع السابق، ص 10.

أما المحاولة الثانية فشرعت خلالها الإدارة الاستعمارية في تطبيقها خلال سنة 1842، باقتراح من "بيجو" الذي أخذ بعين الاعتبار الفشل الأول وقرر إنشاء مزارع وقرى جماعية، وأن يعمل العسكري لمدة ثلاث سنوات بصفة جماعية وضمها إلى أملاك الدومين، لكن التجربة لم تنجح، وفي سنة 1845 عرض المارشال "بيجو" مشروعا آخر لجلب 10 آلاف فرنسي وتوزيعهم على مناطق من بينها سهول: شلف، مينا، ثنية الحد وبوغار...تحت إشراف المراكز العسكرية، لكن مخططه هذا ظل محل نقاش ليفشل في نهاية المطاف بسبب سوء التفاهم بين الماريشال "بيجو" ووزارة الحرب، أما الشيء الذي نجحت فيه السلطات الاستعمارية فهو استخدام الجيش في بناء مستوطنات واستصلاح الأراضي.[1]

2-2)-الاستيطان المدني: بعد نهاية مرحلة الاستيطان العسكري عرفت الجزائر مرحلة جديدة من الاستيطان سميت بمرحلة الاستيطان المدني، وقد شرع الجنرال "بيجو" في تنفيذ وتوسيع المشروع الاستيطاني، حيث دعا بقوة الفرنسيين والأوربيين للهجرة إلى الجزائر، أين سيجدون فرصا للعيش وتحقيق النجاح، حيث منح للمستوطنين حق الإقامة في مختلف مناطق الجزائر[2]، فالاستعمار الفرنسي منذ المرحلة الأولى ارتكز على الاستيطان المدني لدعم الاستيطان العسكري وإيجاد مجتمع دخيل على الشعب الجزائري ليكون حليفا للوجود العسكري، حيث أدركت فرنسا أن وجدوها في الجزائر بدون مستوطنين مدنيين وفرنسيين وأوربيين يدعمون جيش الاحتلال لن يكتمل إلا بذلك.[3]

وبمجرد دخول الفرنسيين إلى أرض الجزائر أصدروا مجموعة من القوانين الجائرة هدفت إلى السيطرة على الشعب، وطبقا لدستور 1848م أصبحت الجزائر رسميا مقاطعة فرنسية، فشجعت هذه القوانين المعمرين على الاستيطان في الجزائر، إذ أصبح النظام السياسي في الجزائر في خدمتهم[4]، فبدأ هذا النوع من الاستيطان يأخذ شكلا أكثر حدة وتصعيدا من خلال هجرة الفرنسيين إلى الجزائر خلال القرن

[1]- عبودي علي، المرجع السابق، ص 56.

[2]- مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 101.

[3]- صغير مريم، المرجع السابق، ص 11.

[4]- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، ج.1، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 67.

التاسع عشر والعقود التي تلتها، حيث أصبحت خطة الاستيطان مدروسة وجماعية وبرفقة من التشريعات الفرنسية لحماية المستوطنين ودعمهم، حيث ارتفع عدد المستوطنين الأوربيين بالجزائر خلال الربع الأخير من القرن 19م من ربع مليون إلى 376 ألفا...، أي زيادة عدد المستوطنين تعني زيادة الأراضي المسيطر عليها. [1]

المبحث الثالث: تهيئة منطقة الونشريس والسرسو

إن التنظيمات التي طبقتها فرنسا في الجزائر قبل سنة 1844 لم تمس منطقة الونشريس والسرسو لأنها كانت خارج سيطرتها لذلك بدأ التوسع الفعلي للقوات الفرنسية بالمنطقة منذ تاريخ إلحاقها بالمكاتب العربية[2].

3–1)– دور المكاتب العربية(1844_1870): أخضعت فرنسا منطقة الونشريس والسرسو إلى سلطتها الفعلية سنة 1844 وأسست مكتبا عربيا يضم قبائل المنطقة بعد توقف المقاومة وسقوط زمالة الأمير عبد القادر وتوجهه إلى المغرب بنفس السنة[3] وهي مؤسسة كانت نتيجة مباشرة للوضع السياسي و العسكري تهدف إلى نزع ملكية المجتمعات المحلية والأفراد لا تنصاع إلى القوانين والتشريعات الفرنسية، وكذلك كل القبائل التي قاومت قوات "بيجو" بالمنطقة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة [4].

[1]–عبد المالك، خلف التميمي، الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي، دراسة تاريخية مقارنة، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص 23.

[2]– وضع "بيجو" هياكل المكاتب العربية النهائية في 1841 وفي 1844 أصدر وزير الحربية قرار تأسيس المكاتب العربية التي بلغ عددها 21 عند التأسيس وصولا إلى 46 عام 1870م، وهي عبارة عن همزة وصل بين الأهالي والجنس الأوربي، ينظر: بشير بلاح، المرجع السابق، ص 67.

[3] –Alexandre Bellemare, (op,cit), p290.

[4]– جيلالي صاري، تجريد الفلاحين من أراضيهم (1830–1900)، منشورات المركز الوطني لدراسات والأبحاث ،(ط.خ)، 2010، ص18.

ويعتبر الملازم "مرغرينا" (Margarina) مهندس الإستطان بالمنطقة، حيث ألحق بالجيش سنة 1841 ثم أدرجه بيجو ضمن حملته على الونشريس سنة 1842 وأوكل إليه مكتب العربي لميانة وفي نفس السنة شارك الجنرال (شونقارنييه) في حملته ضد قبائل الونشريس أواخر عام 1844 وقد عينه رئيس للمكتب العربي بالثنية بنفس السنة وحددت مهامه في إقامة البنية التحتية وإدارة قبائل الونشريس تحت سلطة المكاتب العربية[1].

وفيما يخص إقامة البنية التحتية و تهيئة المنطقة لاستقبال المستوطنين فقد بدأ مشروع الجندي الفلاح وقام بالإستيلاء على الأراضي وإنشاء ورشات تقوم بتصنيع مواد البناء والحدادة لتهيئة المناخ للمستوطنين ولحل مشكلة المياه. فعمل على بناء حاجز مائي و تطلب ذلك قطع آلاف أشجار البلوط و نقل الرمال من منطقة واد واصلوتدمير المناطق الجبلية التي تميزت بالأشجار المثمرة، الكثيفة و المتنوعة مثل منطقة (بني مناصر) بناحية الونشريس[2].

بعد تطبيق مراسيم 1844و 1846 فإن (بني موسى) لم يحتفظوا الا ب 6.5 هكتار (بني خليل) 12.6 هكتار و(الخشناس) 14 هكتار غالبيتها بالجبال. وبزيادة عدد المستوطنين انتقل عددهم من 2720 إلى 112607 فرد من (1841 إلى 1855)، إذ فقد المزارعون 36 ألف هكتار التي خصصت لإنشاء الشركات الرأسمالية كما تضاعف عدد المراكز الإستطانية التي أنشأت هي أيضا لأغراض عسكرية وذلك بهدف مراقبة أهم تحركات والحركات الإستراتيجية خاصة بالمنطقة الجبلية للونشريس. ومن بين أهم مراكزها (ثنية الحد وعمي موسى 1858وزمورة 1863). [3]

أما عن أهم الشركات الثلاثة التي تم انشاؤها فنذكر الشركة العامة الجزائرية التي أسست تعزيز مشروع توسع الأراضي واستغلال اليد العاملة المحلية[4]، لذلك ضاعفت المكاتب العربية الجبايات بالمنطقة

[1] -X- Yacono, (op,cit), p129.

[2]- صالح فركوس، المرجع السابق، ص103.

[3]- جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 29.

[4]- نفسه، ص 30.

انطلاقا من عام 1855 وتوصلت حتى إلى قانون فرض الإيجار الذي حددته ب 50 فرنك لكل هكتار صالح للزراعة و 0.25 لكل هكتار صالح للمراعي بالسهل الغربي من الشلف وهكذا فإن مجموعات كبرى من السكان أجبروا على تأدية رسومات جديدة بالرغم من القوانين السابقة[1].

كما أجبرت سلطات الاحتلال الفرنسي في بعض الحالات المزارعين على امتلاك الأراضي سوى ملك الرقبة، فقد حددت الإدارة الأراضي المزروعة واستحوذت على مساحات كبيرة مثال "أولا قصير" التي كانت تتربع أراضيها على جهتي الشلف حول قاعدة "بيجو" (أرليون فيل) بمساحة 39 إلف هكتار وتجزأت القبيلة إلى دواوير وقد اضطر أعضاء هذه المجموعات السكانية بعد ذلك إلى العمل عند مستوطني اراضيهم نظرا لقلة الموارد بمعدل 7 هكتار صالحة للزراعة و أكثر من 7 هكتارات أراضي بور، إلا أن هذا الرقم غير كافي في نظر المعمرين. [2]

فنتائج تقسيم الأراضي أدركتها الأوساط الإدارية خاصة ضباط المكاتب العربية الذين كانت لهم علاقة مباشرة مع الفلاحين، فعواقب التقسيم أصبحت واضحة أكثر فأكثر لدى جماعات المزارعين، إذ يقول " لاباسي " بهذا الصدد ما نصه:"غضب عارم انقلب ضد معمرين المساكين الذين سيكونون في يوم ما ضحايا هذا التعنت وسياسة الجدف".[3]

كانت حوصلة سياسة تجريد الأراضي جد ثقيلة، تم فيها تقسيم الأراضي المسماة "بالتحقق من السندات أو تكوين الملكيات العقارية" لم يكن لها هدف سوى تجريد الفلاحين المقنع لأراضيهم، إذ يتناقض مع قانون مبدأ حصانة الملكية الريفية وهو قانون جوان 1851م الذي صعب من مهمة ضباط المكاتب العربية في إخضاع سكان المناطق الريفية بالمنطقة العسكرية أنهم يتجنبون مواجهة سكان الريف

[1] -M.Victor Foucher, Les Bureaux arabes en Algérie, Librairie enternationale de l'agriculture et de la colonisation, Rue de Richelieu, 110, Paris, 1858 , pp 45.

[2]- جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 36.

[3]- المرجع نفسه، ص 38.

حتى يتفادوا مقاومة جديدة[1] وتم تعيين الأغا جلول بن فرحات على رأس المكتب العربي نظرا لمكانته بين القبائل وحتى يسهل على فرنسا فرض الأمن وزيادة توسعها بالمنطقة. [2]

إن الهدوء الذي عرفته المنطقة لم يكن استسلاما، فقد تحركت منطقة الونشريس والسرسو سنة 1864 تجاوبا مع ثورة أولاد سيدي الشيخ وحاولت فرنسا اشراك القبائل لإخماد الثورات مما أدى إلى انقسام القبائل، بينما ظل معظم السكان رافضين للاستعمار؛ و لتسهيل تجسيد سياستها على أرض الواقع لجأت فرنسا إلى القيام بجرد القبائل المنغلقة وتقسيمها إلى قبائل بربرية في المناطق الجبلية والعربية بسهل السرسو[3].

كما شجعت على الإستلاء على الأراضي بحجة سوء تصرف سكان المنطقة وأن الفلاح الجزائري لا يزرع الا في حدود حاجياته ولا يستغل مساحات كبيرة وبهذا فهو يحول ممتلكاته إلى أرض بور، أيضا احتجت بأته لا يبيع إنتاجه ولا يضع أمواله في البنوك، فلجأ ضباط المكاتب العربية إلى ممارسة كل أنواع الضغوطات على الهيئات العليا بباريس و توصلوا إلى افتكاك حق الحصول على مشروع مجلس الحكومة الذي يختلف عن مشروع تقسيم الأرض خاصة بعد زيارة (تاليوت 1860) الذي أعاد النظر في سياسته العقارية[4].

3–2)– دور قانون سيناتوس كونسلت في تهيئة المنطقة:

نظرا لتوسع الاحتلال وذلك بفضل توسع شبكة مراكز التعمير والامتيازات التي منحت للشركات الرأسمالية الكبرى واعتبارا للآثار المشؤومة لسياسة تقسيم الأراضي فإن النظام المسمى " نظام السيف" اعتبر الوقت ملائما لإقامة التوازن العادل بين الفلاحين و المجموعة الأوربية، ويعرف في الروايات التاريخية

[1]– جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 38.
[2]– سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 50.
[3]– المرجع نفسه، ص 50.
[4]– جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 38.

بالقانون المسيحي، حيث وصفه بعض الكتاب بأنه أهم وثيقة للتأريخ للريف الجزائري كان هدفه الرئيسي تفكيك القبيلة و القضاء على التنظيم الاجتماعي لها. صدر هذا القانون خلال عام 1863 وتضمن ستة بنود هدفت إلى تثبيت الجزائريين على أراضيهم كما ادعته الإدارة الفرنسية لكن مضمونه في حقيقة الأمر رمى إلى إنشاء الملكية الفردية[1]، حيث نصت مادته الأولى اعلان ملكية الأقاليم للقبائل الجزائرية والتي لها الانتفاع بشكل دائم وتقليدي مهما كان سند الملكية بالنسبة لطموحات بعض الضباط، أما المادة الثانية فقد أدخلت تحفظات على تحديد القبائل وتوزيع الأراضي إلى عدة أصناف يضمن الأراضي الخاصة للمزارعين[2].

أما ما تضمنه القرار الثالث فهو دعم تحديد الأراضي القبلية وفصلها عن القبائل الأخرى واعتماد الملكية الفردية داخل القبيلة والتي كانت تتكون من عناصر دخيلة أو من قبائل أخرى لجأت إلى القبيلة لأسباب مختلفة، كما كان يهدف كذلك إلى استقبال الأوروبيين في إطار تعمير الجزائر من خلال رسالة الإمبراطور (نابليون الثالث) إلى الحاكم العام بيلسي 1863 التي جاء فيها ما نصه "...العرب فلهم تربية الخيل والأنعام ...أما النصارى المميزين بالفهم و النشاط في العمل فلهم جلب المنافع من الغابات والمعادن و توفير المياه ....." [3].

وبهذا تضمن ملخص مشروعه تحديد إقامة كل مجموعة من المجموعتين فالأولى رعوية تمارس نشاطها في السهوب وحواف الصحراء المتنقلة، أما الثانية فمقرها في الشمال يمثلها العنصر الأوروبي، وكان العامل الديني هو الذي حدد وسيلة التحول من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية ومن أجل رفع عدد المعمرين بالجزائر وضعت الإدارة الاستعمارية عدة أطروحات تتضمن توفير اليد العاملة منها جلب السود

[1]– صالح فركوس، التشريعات المنظمة للاستيطان الاستعماري بالجزائر، مشروع بحث، جامعة قالمة، 2009، ص95.

[2]– جيلالي صاري، المرجع السابق، ص ص:39–40.

[3]– عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص153.

من الولايات المتحدة الأمريكية وقدر عددهم بحوالي 100000 نسمة مقابل 100 مليون فرنك بعد الحرب الأهلية (1861_1864)[1]

والطرح الثاني للمشروع فهو تهجير 50000 فلاح ايرلندي وذلك لتقارب المذهب بينهما ولإسكات بريطانيا حتى تتوقف عن سياسة التشهير بجرائم فرنسا بالجزائر . أما الطرح الثالث فتمثل في محاولة جلب اليد العاملة من السودان التي قدرت بحوالي 100ألف سوداني.[2] وبهذا مثل تقسيم القبائل إلى دواوير الخطوة الأولى والحاسمة للتفكك الاجتماعي وتجزئتها إلى ثلاثة أو أربعة دواوير لتسهيل مراقبة أعضائها، وهناك مجموعات خسرت ممتلكاتها والأمر يتعلق بسكان منطقة وادي مينا (الشلف) بالخصوص، كما سجل تقلص كبير في الأراضي الزراعية بعد عمليات التحديد والتصنيف، زيادة على ذلك فإن الملاك العمومية طالبوا بنصيب آخر من الأراضي بمبالغ أراضي العروش أي ما يعادل 1523013 هكتار بنسبة(22.3%) .[3]

يمكن حصر مجموعة النتائج المترتبة عن تطبيق قانون مجلس الشيوخ لعام 1863 في مجموعة من النقاط المهمة نلخصها فيما يلي:

- ✓ محاولة بيع الأملاك العمومية وإنشاء محيطات للاستعمار، وحماية تحديد بعض الأشجار.
- ✓ فيما يتعلق بتنصيب المحطات الجديدة للاحتلال فإن الهدف هو قبل كل شيء استراتيجي أكثر منه اقتصادي.
- ✓ تحديد المشاريع من خلال دفع حدود الاحتلال إلى الأمام، فانشاء هذه القرى استهدف من ورائه حشد المجهودات للدخول والإحاطة جيدا بأخر البقايا بالجبال: الونشريس ...نفس الشيء بالشلف من خلال دعم المشاريع الإقتصادية (سكة حديد وهران العاصمة).

[1]– عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 155.

[2]– صالح فركوس، المرجع السابق، ص 98.

[3]– جيلالي صاري، تجريد الفلاحين من أراضيهم، المرجع السابق، ص 40.

✓ أكدت ثورات 1864 خاصة في منطقة (الأبيض سيدي الشيخ[1] ووصولها إلى فرندة وجنوب غرب السرسو رفض سكان المنطقة لسياسة نابليون الثالث الذي حاول استعمال التهجير القصري بالإستيلاء على أراضيهم[2]

✓ خلال سنة 1866 بدأت سلطات الاحتلال في تطبيق قانون سيناتوس كونسلت في منطقة الونشريس والسرسو وتعيين "ليبرت" الذي قسم العملية إلى ثلاث مراحل: [3]

- تحديد إقامة القبائل ورسم خرائطها ورصد العيون والمصادر المائية من أودية ومجاري، وإنشاء مجلس القبيلة يعين فيه القايد بقرار من الحاكم العام للإقليم يكلف بتعيين قايد الدواوير ويعمل رئيس المكتب العربي بثنية الأحد، وتطلبت عملية رسم الحدود بمشاركة قياد قبائل لرسم الحدود بين "بني محرز" و"أولاد عباد" وبني حيان".[4]
- تفكيك القبائل وهذا ما عرفته أيضا قبيلة "بني محرز" التي استقر أفرادها في ثنية الأحد، حيث عملت سلطات الاحتلال على تقسيمها إلى فرعين، فأنشأت قيادتين واحدة للقبيلة الأم والأخرى للقبيلة الجديدة، فظهرت قبيلتان واحدة تحت اسم "بني محرز" والأخرى "قبيلة "العناصر".[5]
- تهجير القبائل، فأبعدت قبيلة "بني محرز" إلى منطقة وعرة في الجنوب الغربي وألزمتها بتهيئتها وتضمنت هذه العملية محضر لازال أرشيف مدينة ثنية الأحد يحتفظ به، الذي أشار إلى حدود الأراضي التي منحت للقبيلة بدل الأراضي التي استولى عليها المستعمر، بالمقابل وجهت قبيلة "العناصر" إلى الشمال الشرقي في منخفضات واد الغرقة. [6]

---

[1]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص: 133–176.

[2]– بوعناني العربي ،المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830–1908 ومواقف الزعامات القبلية والدينية من الاستعمار الفرنسي، مذكرة دكتوراه تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2018–2019، ص 145.

[3]– سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 53.

[4]– المرجع نفسه، ص 54.

[5]– المرجع نفسه، ص 54.

[6]– جيلالي صاري و محفوظ قداش، المقاومة السياسية (1900–1954)، ترجمة عبد القادر بن حراث ، الأكاديمية الجزائرية للوثائق والمصادر التاريخية ،الجزائر 2010، 171.

وبعد محاولات السلب والاستيلاء على المساحات الشاسعة للأراضي الزراعية والغابات بسهول السرسو وغابات جبال الونشريس واستغلالها من طرف الشركات الرأسمالية، فإن الإمبراطورية الثانية انتهت في ظروف جد صعبة، فسقوطها كرس الانتصار النهائي للاحتلال وسمح بإقامة النظام الموجه للتضييق أكثر فأكثر على المزارعين خاصة أن الفرصة مواتية بعد انتفاضة 1871.

المبحث الرابع: مظاهر المقاومة في منطقة الونشريس والسرسو

عرفت منطقة الونشريس كغيرها من مناطق الجزائر الواسعة العديد من المقاومات الشعبية وذلك شهدتها المنطقة بهدف الدفاع على أعراضهم وأملاكهم وأراضيهم، فقبائل المنطقة كانت متعودة على رفض السيطرة العثمانية خلال القرنين 18و19م فحافظت على نفس التوجه بعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة.

فعند الاحتلال الفرنسي ظلت المنطقة بعيدة عن نفوذه، ولكنها حاولت النفاذ إلى هذه البوابة الجبلية لتتجه نحو الهضاب العليا والصحراء فاصطدمت بمقاومة الأمير عبد القادر، الذي سبق له أن أقام قواعد وحصون جعلها من مناطق استراتيجية تراقب القوات الفرنسية من تاقدمت إلى حصن تازة بشرق الونشريس، فوجدت قبائل المنطقة دعما ماديا وعسكريا من الأمير الذي وضع في تصرف زعمائها القوة العسكرية المنظمة وجند الكثير من أبنائها كانوا قادة معارك من بينهم "سيدي الحاج مصطفى بن تامي"، وانظمت قبائل الونشريس الشرقي والغربي لهذه المقاومة فواجهت قوات "بيجو" وقادته العسكريين أمثال "بيليسيه" و"سانت آرنو"، "شنقارنييه" و"لامورسيار" الذين حاولوا اقتحام هذه المناطق أكثر من مرة خلال مواجهتهم للأمير.[1]

لذلك تبنى "بيجو" سياسة التوسع الشامل منذ 1840 ومحاولته عزل القبائل الموالية للأمير عبد القادر بالونشريس بشتى الطرق من خلال ارتكابه لأعمال وحشية [2]، حيث وجد الجزائريون أنفسهم بين المطرقة والسنداد، وبعدما تمكنت فرنسا من اكتشاف موضع الزمالة سنة 1843م، دخلت العديد من

[1]– بليل محمد، اسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص 76.

[2]– بليل محمد، المرجع السابق، ص76.

القبائل في طاعة الفرنسيين، فاعتقد هؤلاء أنهم قضوا على مقاومة الجزائريين، لكنهم سرعان ما تفاجأوا بمقاومات مختلفة في هذه المناطق ترد الزحف الفرنسي، حيث شهدت مناطق الظهرة ومنطقة الشلف وغليزان مقاومات شرسة قادها أبطال قبيلة "فليتة" والتحق بهم بومعزة من منطقة الشلف ليتابع تحركات قادة الجيش الفرنسي وأعوانهم وأصبح حليف الأمير وممثله الرمزي بالمنطقة[1]، وبهذا لم تغيب منطقة الونشريس والسرسو عن المقاومة، ومن خلال هذه الوقفة العلمية سننقل نماذج منها.

4–1)–مقاومة الآغا جلول بن فرحات: إن انتصارات التي حققها الأمير عبد القادر على قوات الجيش الفرنسي بقيادة "بيجو" في أكثر من واقعة جعلت الجيش الفرنسي يحاول تجنبه خاصة بعد معركة "المقطع"...[2]، إذ أجبر الجيش الفرنسي على توقيع معاهدة "دي ميشال" التي حددت الأراضي الخاضعة للأمير ونصت على إدراج منطقة الونشريس والسرسو ضمن الأراضي التابعة له وبقيت تحت قيادته بناء على معاهدة "تافنة"، كما حددت حدود دولته في الشطر الرابع من المعاهدة.[3]

قام الأمير بتنظيم منطقة الونشريس والسرسو وذلك بتعيين جلول بن فرحات (1779–1854) آغا على المنطقة وكان مقره ثنية الأحد التي ضمت قبيلة "أولاد عباد" التابعة لإقليم مليانة، وتميز الآغا بن فرحات جلول بممارسته الآغوية في العهد العثماني، فضم له الأمير عبد القادر القبائل المجاورة عرفانا له بقوته وحسن سيرته وبسبب قوة شخصيته وكفاءته أصبح مساعد خليفة الأمير في مليانة، لكن سرعان ما ألحقه تحت سلطته مباشرة وأوكل له حماية الزمالة بعد أن لجأ إلى جنوب السرسو برتبة رئيس العسكر المحمدي[4]، وقد واجه الآغا جلول بن فرحات عدوين هما: العدو الأول المتمثل في الاستعمار الفرنسي

[1]– نفسه، ص 76.

[2]– يوهان كارل بيرنت ، المصدر السابق، ص 34.

[3]– عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 77.

[4]– سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 57.

الذي بدأ الزحف على السرسو منذ سنة 1841م بعدما احتل "بيجو" وقادته عدة مدن كانت تحت سلطة الأمير منها مليانة، ثنية الأحد وتازا. [1]

أما العدو الثاني فتمثل في إخوته، خاصة عمر بن فرحات الذي كان من ألد أعدائه، حيث حاول استمالة خليفة مليانة علال بن مبارك لتعيينه بدل الآغا جلول بن فرحات، ولما فشلت محاولته انقلب على الأمير وأصبح خادما مخلصا للفرنسيين و أداة في يدهم لتنفيذ سياسة استمالة القبائل وتجنيد القبائل لكنه أيضا فشل في المهمة، ورغم ذلك لم تزعزع الثقة المتبادلة بين الأمير عبد القادر والآغا جلول بسبب خيانة إخوته ودخولهم تحت لواء فرنسا باستثناء أخيه الأصغر علي بن فرحات الذي بقي وفيا لخط المقاومة [2]، وفي نوفمبر 1842م باغت الأمير بمشاركة الآغا جلول الجيوش الفرنسية في واد واصل وألحق بهم هزيمة نكراء ثم زحفوا نحو ثنية الأحد.[3]

وفي سنة 1843م وصلت معلومات إلى الجيش الفرنسي من طرف عمر بن فرحات حول موقع زمالة الأمير، وكان هدف "الدوق أومال" (Duc Aumale) القاء القبض على الأمير والآغا جلول بن فرحات، ولكنه فشل في تحقيق هدفه واكتفى بالأسر والنهب، هذه الواقعة قسمت قبيلة "أولاد عباد" وعائلة بن فرحات بين آغا الأمير وآغا فرنسا التي لم تذكر في الأرشيف إلّا عيوبه، وهذا ما ذكره المؤرخ أن الآغا جلول اختار الجانب الخاسر في المعادلة لكنه ظل يدافع على اختياره للأمير[4].

واجه جلول بن فرحات خلال عام 1844م هجوم قادة الجنرال "يوسف المملوك" اليهودي[5]، الذي حاول وضع حد لمقاومة الونشريس والسرسو بعد لجوء الأمير إلى المغرب الأقصى، هذا ما دفع

---

[1]– عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 32.

[2]– سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 57.

[3]– بليل محمد، المرجع السابق، ص 63.

[4]– سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 58.

[5]– **الجنرال يوسف:** مملوك يهودي تربى في القصر الملكي بتونس، فر أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر والتحق بالجيش الفرنسي(1808-1866)، ينظر:

P.AZan , (op,cit), pp : 44-47.

الآغا جلول إلى أن يسلم نفسه لـ"دوق أومال" الذي عامله معاملة خاصة اعترافا بشجاعته[1]ونقل إلى ثنية الأحد ثم إلى "بني مايدة" وبعودة الأمير عبد القادر من المغرب تجددت المقاومة بين قبائل السرسو(بني مايدة وبني لانت) قادها الآآغا جلول حتى نهاية 1846م لما سلم نفسه إلى الجنرال "يوسف" الذي سلمه إلى السلطات الفرنسية ليتم نفيه بالجنوب (الأغواط) أين يقيم أخواله فتحول إلى فلاح يملك 150 رأس من الماشية و15 رأس من الإبل.[2]

وبحلول عام 1852 اشتدت المشاكل في ثنية الأحد بسبب تصرفات الآغا عمر بن فرحات التي لم يتقبلها العسكريون الفرنسيون مما دفع بالسلطات الفرنسية للللجوء إلى الآغا جلول بن فرحات وتنثيبه آغا على ثنية الأحد، فلقي احترام ورضا من طرف قبيلة "أولاد عباد" لكنه سرعان ما تخلى عن منصبه بعد سنتين من تعيينه، وفي عام 1854 توفي الآغا بن فرحات وهو يؤدي فريضة الحج، فخصص له (Bagija) رثاء فيه الكثير من المدح جاء فيه: "لم ترى السلطات الاستعمارية في الآغا جلول بن فرحات آغا الأمير إلا خصما عنيد، شيخا لم تضعف عزيمته ولا قوته، قد أحدث موته حزنا عميقا عبر كامل الجزائر، هالة كبيرة من الجود اختفت، وتحفة نادرة لم تعد فوق الأرض".[3]

4–2)–مقاومة الشريف بومعزة (1845–1847): يعتبر القائد والبطل الشريف بومعزة محمد بن عبد الله بن وداح من منطقة جبال الونشريس، ينتسب إلى أولاد خويدم في حوض الشلف[4]، ينتمي إلى الزاوية الدرقاوية ويقال أنه من أتباع الطريقة الطيبية المنتشرة في المغرب ناحية ثارودات جنوب المغرب الأقصى[5]، نشأ بومعزة تحت كفالة امرأة اعتقد فيها الناس الصلاح والولاية، ثم نزل بناحية شلف واستقر بها.[6]

---

[1]– بليل محمد، المرجع السابق، ص 78.

[2]– عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 64.

[3]– سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 58.

[4]– صالح فركوس، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية "الاحتلال الفرنسي والمقاومة المسلحة (1830–1962)"، دار العلوم لنشر والتوزيع، 2009، ص194.

[5]– هانريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، مج.3، ط.خ ، وزاره المجاهدين، دار الحكمة، الجزائر، 2009، ص255–261.

[6]– صالح فركوس، تاريخ الجهاد، المرجع السابق، ص 194.

مرت أكثر من أربع سنوات عن تعيين الجنرال "بيجو" حاكما على الجزائر الذي نقد خطة عسكرية جهنمية لإخضاع الأهالي لسلطة الاحتلال كلفته الكثير من المتاعب والمعارك وأنهكت جيشه فأدرك في الأخير أن صرح النفوذ العسكري الذي شيده بقوة الحديد والنار وبكثير من الوحشية أخذ يتضعضع من جديد، حيث كبدته المقاومة خسائر فادحة في الأرواح طيلة أربع سنوات. [1]

كان بومعزة يشاهد ما حل بالبلاد من ظلم وجور على أيادي الغزاة بقيادة السفاح "بيجو"، الذي نشر الرعب والقتل والفساد في الأرض ومصادرة الممتلكات، لذلك أعلن بومعزة جهاده سنة 1844م وتحالف مع الأمير عبد القادر بعد عودة هذا الأخير من المغرب ونجحا في هزيمة الجيش الفرنسي وحصاره في السواحل وتطهير وادي الشلف منه [2].

وفي سنة 1845 شهدت منطقة الظهرة انتفاضة الزعيم بومعزة الذي استطاع أن يكبد خسائر فادحة في صفوف المستعمر لذلك وجه له الجنرال "بيجو" كل القوات المتوفرة في منطقة شلف ومنطقة الظهرة، حيث جهز جيشا كبيرا يضم عدة وحدات بقيادة "سانت آرنو" و"بيليسيه"، قامت بالتعرض للقبائل ومطاردتها بأبشع الأساليب فكانت أكثر وحشية ضد قبيلة "أولاد رياح" التي قدمت الدعم الكامل لبومعزة بتاريخ 1845/06/18م[3].

أثارت هذه المحرقة البرلمان الأوربي والرأي العام، لكن قوات "بيليسيه" واصلت الزحف وما كان على بومعزة إلا تنظيم ضربات أخرى للأخذ بالثأر وتتابعت الهجمات من الطرفين وهنا كان على بومعزة التمهل وإعادة النظر وهذا بأمر من الأمير عبد القادر الذي كان خلال هذه الفترة يعمل على إقامة دولته وهي "الزمالة"، سار بومعزة بعد مجزرة "أولاد رياح" بخمسة آلاف جندي وشن هجمات متفرقة،

[1]– شارلز هنري شرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق وتقديم أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط.خ، الجزائر، 2011، ص137

[2]– يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، عالم المعرفة، الجزائر، ط.خ، 2009، ص193.

[3]– هانريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص 263.

فجند "بيجو" خمسة قوافل تحت إشراف "سانت آرنو" و"بيليسيه"[1]، فداهم هذا الأخير منطقة الظهرة ومستغانم وتنس وقام بعملية تمشيط واسعة، فلجأ بومعزة رفقة الأمير إلى المغرب[2]، وأراد الشريف بومعزة نقل الثورة إلى خارج المنطقة حيث ذكرت الحوليات الفرنسية أن الشريف بومعزة ظهر في منطقة القبائل بين سنتي 1845و1846م، كما ظهرت قواته أيضا في منطقة "أولاد نايل" في الجنوب الشرقي للونشريس متبعا الطريقة الدرقاوية والشريف بومعزة من رموزها.[3]

لقد جعل تراجع مقاومة الأمير عبد القادر الفرنسيين يتفرغون للقضاء على مقاومة المجاهد بومعزة فعاد إلى جبال الونشريس ودخل في معارك طاحنة مع القائد الفرنسي "مارغرينا" بثنية الأحد لكن لضعف قواته سلم نفسه للسلطات الفرنسية التي نقلته إلى مدينة الجزائر ومنها إلى فرنسا، لكنه نجح في الهروب من السجن وركب البحر للعودة إلى الجزائر[4]، ثم ألقي القبض عليه مرة أخرى. لكن أطلق سراحه "نابليون الثالث" خلال سنة 1852، فسافر إلى الآستانة وتطوع في الجيش العثماني خلال حرب القرم واتجه بعدها إلى دمشق أين جاور الأمير عبد القادر ومنها إلى شمال إفريقيا فحاول التسلل إلى الجزائر لكنه فشل على أمل تجديد حركة الكفاح ثم عاد إلى الدولة العثمانية وتوفي هناك بداء الكوليرا. [5]

نستخلص مما سبق عرضه من معطيات تاريخية أن مخطط الإدارة الاستعمارية الفرنسية على منطقة الونشريس والسرسو كان مبنيا على مصادرة الأراضي والأملاك، حيث ارتبط هذا بإصدار العديد من القوانين والمراسيم تعلقت بجميع أنواع الأراضي، على الرغم من اختلاف طبيعة الملكية العقارية في الجزائر عشية الاحتلال، أما من الناحية الاقتصادية فحالة الجزائريين ساءت منذ بداية الاحتلال الاستيطاني جراء سلب الأراضي فأنتجت تلك السياسات معارضة تمثلت في المقاومات الشعبية.

النتائج حول المقاومات

[1]– صالح فركوس، تاريخ الجهاد، المرجع السابق، ص 196.

[2]– يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 194.

[3]– كمال بن صحراوي، الشريف بومعزة "ثائر الظهرة والونشريس من خلال كتابات الفرنسيين، مجلة أبحاث، ع.2، ص81.

[4]– يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 193.

[5]– المرجع نفسه، ص 200.

ساهمت منطقة قبائل الونشريس في مقاومة الاستيطان الفرنسي وذلك من خلال تقديم الدعم والمساندة لكل من الأمير عبد القادر وثورة الآغا جلول ابن فرحات وبومعزة فتحول فضاء منطقة الونشريس إلى مسرح الكثير من العمليات العسكرية التي استهدفت قوات الاحتلال والمتعاونين معها إيمانا منهم بأن الدفاع عن الحرية واجب يستوجب ضم جهودها إلى كل مقاومة تهدف إلى تحرير البلاد والعباد، فتحملت بذلك عبء المشاركة فيها وتعرضت لكل أنواع البطش والتنكيل والتشريد فدفعت بذلك ثمنا باهضا كباقي السكان على مشاركتها في المقاومة.

الفصل الثالث: الاستيطان المدني في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1870-1930)

المبحث الأول: القوانين الإستعمارية 1870-1930

1-1- القانون المدني 24 أكتوبر 1870

1-2- قانون وارني 26 جويلية 1873 وقانون الأهالي 1874/08/29

1-3- قانون إلحاق الجزائر بفرنسا 1881/08/26

المبحث الثاني: تنظيم الاستيطان في المنطقة

2-1- تحويل وبنية المنطقة وجردها

2-2- تنظيم المنطقة وتوسيع الاستيطان

المبحث الثالث: دراسة نموذجية لظاهرة الاستيطان (بلدية فيالار)

3-1- إنشاء البلدية

3-2- فيالار في خدمة المستوطنين

3-3- السياسة الاستعماري اتجاه الأهالي

المبحث الرابع: رد فعل منطقة الونشريس والسرسو مابين (1870-1930) من مشروع الاستيطان

4-1- التمسك بالأرض

4-2- الدعوة إلى المساواة

4-3- المقاومة الثقافية

المبحث الأول : القوانين الإستعمارية 1870–1930

مع حلول سنة 1870، وتغيير نظام الإدارة الفرنسية في الجزائر من عسكري إلى نظام مدني، أين أصبحت فيه السلطة التشريعية بمقتضى دستور الجمهورية الثالثة تستند إلى قرارات برلمانية مدنية، شددت فرنسا قبضتها أكثر على الجزائر من أجل تحويلها إلى مقاطعة فرنسية، ولتكريس هذا المسعى واصلت فرنسا الإستعمارية متابعتها وتشجيعها للحركة الاستيطانية وذلك من خلال إصدارها لمجموعة من الإجراءات والقوانين وعددها أربعة وخمسين (54) حسب إحصاء المؤرخ الأستاذ أبو القاسم سعد الله رحمه الله عليه، وجاءت هذه القوانين متعددة سنأتي على التعريف ببعض منها خلال هذه الوقفة العلمية.

1–1)– القانون المدني المؤرخ في 24 /10/ 1870 :صدر هذا القانون المدني في ظروف خاصة، من بينها هزيمة فرنسا أمام بروسيا واستسلام نابليون الثالث، وسقوط الجمهورية الثانية المتهمة بالوقوف إلى جانب الأهالي في الجزائر، وتولت السلطة في فرنسا حكومة الدفاع الوطني التي حاولت تغذية التيار المعادي للأهالي والمعارض لإصلاحات نابليون الثالث.[1]

وقد نص هذا القانون على تحويل الجزائر إلى مستعمرة فرنسية وإلحاقها بفرنسا مباشرة وتحويلها إلى مقاطعة فرنسية، تابعة لوزارة الداخلية، وتم تحويل أقاليمها إلى عمالات وكل واحدة تنقسم إلى نوعين من الأراضي، أراضي مدنية وأراضي عسكرية، أطلق عليها أراضي الأوامر أو الوصايا، وبدورها الحقت المقاطعات العسكرية للحاكم العام المدني للجزائر بموجب قانون 29 مارس 1871، وكذلك تم الحاق المكاتب العربية بوزارة الداخلية[2].

وحسب ما ذكره الأستاذ سحنون، بهذا الصدد فإننا عندما نقوم بإجراء مقارنة بسيطة بين مقاطعات الجزائر ومقاطعات فرنسا يتضح أن مساحة العمالة في الجزائر أكبر مساحة وأقل سكانا من المقاطعة في فرنسا، والجدول التالي يبين لنا مقارنة إحصائية بينهما :

[1]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج.3، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1983، ص 24.

[2]– سحنون سعيداني، المرجع السابق، ص 64.

عمالة	مساحة	تعداد السكاني
عمالة الجزائر	17000 كلم2	164000 نسمة
عمالة فرنسا	6100 كلم2	440000 نسمة

من خلال ما جاء في هذا الجدول نستنتج نقطتين هامتين كانت من وراء تشريع هذا القانون:

- ✓ أولا تشجيع الاستيطان الأوروبي المعارض بطبيعة الحال للحكم العسكري.
- ✓ ثانيا الوقوف أمام طموحات الجزائريين.

وإلى جانب القانون المدني، صدر قانون "كريميو"[1]، وقد نص على العديد من النقاط أبرزها :

- ✓ منح الجنسية الفرنسية لليهود بصورة جماعية
- ✓ منح اليهود المتجنسين جميع الامتيازات التي يخولها القانون للرعايا الفرنسين[2]، وقد كان الهدف من وراء هذا رغبة فرنسا في تقوية العنصر الأوروبي الفرنسي بمن فيه اليهود بالجزائر من جهة، وإعطاءه الحق في ممارسة النشاط السياسي والإداري في المؤسسات الفرنسية من جهة أخرى[3]، لذلك رفض الجزائريون هذا القانون، وتجسد ذلك على لسان الحاج محمد المقراني الذي احتج على القانون قائلا: "لا خير في دولة بفعل فيها اليهودي ما يشاء "[4]

1–2)– قانون وارني (Warnier)[5] (1873/07/26) وقانون الأهالي 1874/08/29

[1]– **اسحاق موسى كريميو(1776–1880)**: المعروف بأدلوف كريميو محامي وسياسي فرنسي يهودي انتخب نائبا عام 1848 ثم نائبا عن مدينة الجزائر في الجمعية الوطنية الفرنسية عام 1871، كما تولى وزارة العدل مرتين سنة 1848 وسنة 1870، ينظر: بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، ج.1، 2006، ص 232.

[2]– نعيمة بوكرديمي، الحركة الاستيطانية بالجزائر في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة وانعكاستها على المجتمع الجزائري، أقلام الهند، ع.4، 2019 .

[3]- محمد صلاح، تاريخ العالم الحديث و المعاصر -1870-1939 - ، منشورات القضية الجزائرية ، 1997 ، ص106 .

[4]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج.1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 239.

[5]– **وارني أوانس إيبرت(1810–1875)**: طبيب وسياسي ونائب عن الجزائر(1871-1875)تخرج طبيبا من المستشفى العسكري بليل 1832، عارض بشدة مشروع المملكة العربية وقد حمل اسمه قانون 1873، **ينظر**: عدة بن داهة، المرجع السابق، ص 368.

أ)- **قانون وارني (Warnier) (1873/07/26): هو عبارة عن** قانون عقاري جاء بهدف القضاء على الملكية الجماعية للقبائل و الأعراش و في هذا الإطار قامت السلطات الفرنسية بمصادرة عدد كبير من الأراضي الزراعية ، بعد فشل مقاومة المقراني و هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في السبعينات و منحها للمهاجري الألزاس و لورين.[1]

اعتبر هذا القانون ضمن المراسيم الاستيطانية، فقد كان من الناحية الشكلية خادعا يوضح عزم فرنسا على تحديد ملكية الجزائريين، مما اعطى انطباعا أوليا بأن هناك تغيير في السياسة الفرنسية، خاصة في ظل غياب الوعي السياسي لدى غالبية المجتمع الجزائري الذي لم يكن قادرا على فهم أبعاد السياسة الفرنسية، فهذا القانون كان يرمي إلى تجزأة الملكيات التي كانت تحت طائلة الشيوع لتسهيل عملية الاستعمار الحر.[2]

ب)- **قانون الأهالي(Code de L'indéginat 1874/08/29**: يعتبرمن بين أخطر القوانين التي وضعتها فرنسا إذ جاء مكملا للقوانين التي سبقته، فقد أشار إلى ترتيبات خاصة للتعامل مع سكان الجزائر من خلال مجموعة من الإجراءات الاستثنائية التعسفية منها:

- ✓معاقبة الأهالي لأي عمل يقومون به.
- ✓مصادرة أملاكهم دون حكم قضائي[3]، فقد رخص هذا القانون الى الإدارة الإستعمارية حق القمع التأديبي فيما يحص المخالفات الغير منصوص عليها في التشريع الفرنسي و محددة في القرارات الولائية[4] .

[1]- عمار بوحوش ، المرجع السابق، ص 167 .

[2]- عدة بن داهة ، المرجع السايق ، ص 368 .

[3]- نعيمة بوكرديمي ، المرجع السابق .

[4]- إدريس الفاضلي ، المدخل الى تاريخ النظم ، د.و.م.ج ، الجزائر ، 2006 ،ص ص 374-376 .

✓ركز القانون على سلوك القبائل والدين والضرائب و تنوع الأحكام بين الغرامات المالية و السجن، و لقد أعطيت للإداري الفرنسي صلاحيات تحديد الحكم بما يحقق و يخدم مصلحة الاستيطان ، ولذلك أعطيت الأولوية للسجن بدل الغرامات المالية ، لحاجة مصالح الاستيطان الى اليد العاملة في الأشغال الشاقة .

وما يلاحظ على هذا القانون أنه تطور و تنوعت مخالفاته التي تعاقب الجزائري على سلوكاته ونواياه في سعيه لجمع قوته[1]، وتكمن خطورة هذا القانون في التبريرات المستعملة في تطبيقه وهي تخلف الجزائري مما يصعب عليه عملية فهم القوانين، وتفاديا اندلا ع ثورات شعبية مستقبلا.

1-3)- **قانون إلحاق الجزائر بفرنسا 1881/08/26** :نص هذا القانون على إلحاق الجزائر بالوزارات المتخصصة في الوطن الأم و أصبح كل قطاع تابع لوزارة معينة بفرنسا، بحيث إنشاء قرية صغيرة في الجزائر يتطلب تدخل كل من وزارة الداخلية لتحديد المكان ، ووزارة الأشغال العمومية لتهيئة، ووزارة التعليم لإنشاء المدارس، ووزارة الفلاحة للأشغال الزراعية، ووزارة الدفاع لتسوية المشاكل الأمنية[2].

وأصبح منصب الحاكم العام منصبا شكليا، يعمل صاحبه على تنفيذ القرارات القادمة من وراء البحر ورافق هذا القانون توسيع صلاحيات الإدارة الفرنسية في السهول العليا بإلغاء المكاتب العربية واستبدالها بالمتصرف الإداري المدني، ودوره بإلحاق الجزائر بفرنسا والقضاء على وحدة القبيلة[3].

لقد حول هذا القانون الجزائر سنة 1900 م وما بعدها إلى حلبة صراع بين العناصر الثلاثة المشكلة للمعمرين، وانقسامها لمجموعتين بسبب الاختلاف حول تغليب سياسة الاستعمار الكبرى التي دافع عنها الفرنسيون أو تغليب المصلحة الخاصة للمعمرين التي دافع عنها الفرنسيون من أصول أجنبية

[1]- ايف لاكوست و آخرون ، المرجع السابق ، ص 338

[2]- سعيداني سحنون ، المرجع السابق ، ص 68 .

[3]- سحنون سعيداني، نفسه، ص 68.

واليهود الذين يوسعون ظاهرة العداء للسامية[1]، وحسب ما ذكره سعيداني نقلا عن أرشيف مصلحة الطرقات حول منطقة الونشريس و السرسو تحول سكان المنطقة إلى المواليين.

المبحث الثاني : تنظيم الاستيطان في المنطقة

لقد سعت السلطة الفرنسية في تهيئة و تنظيم العملية الاستيطانية ، في منطقة الونشريس و السرسو من خلال أساليب متعددة وهذا ما أثبته الأرشيف الخاص بالمنطقة ، وابراز السياسة المعتمدة من طرف السلطة الإستعمارية في تسهيل عملية توطين المعمرين ،وتيني تدابير مختلفة مابين سنة 1870 م وسنة 1930 م لتعميره وسنحاول في هذا الجزء طرح تلك السياسة المتبعة، لقد اعتمدت السلطة الفرنسية في تهيئة و تنظيم عملية الاستيطان بمنطقة الونشريس والسرسو على سياسة نتتبعها كالتالي :

2-1)- تحويل بنية المنطقة وجردها :لقد سعت سلطات الاحتلال الفرنسي من وراء مشروع تحويل بنية المنطقة الى تحقيق هدفين هما :

- ✓ **أولا** : توفير أراضي لنزعها من أصحابها وذلك كما أشرنا له سابقا بتطبيق قانون السيناتوس كونسلت في المنطقة سنة 1866 ، و أوكلت للقائد العسكري ليبرت ، الذي عالج كل قبائل المنطقة ومنها قبيلة بني محرز التي قسمها الى قسمين بني محرز والعناصرية.[2]
- ✓ **ثانيا** : طرد القبائل من أراضيهم و تهجيرهم ، وكما ذكر الأستاذ سحنون في مذكرته إستنادا على الوثائق الأرشيفية والتي تعذر علينا الوصول اليها مباشرة بمنطقة ثنية الأحد، أن هاته الوثائق تحتفظ بمحاظر ترحيل قبيلة بني محرز من أراضيها و تهجيرهم الى أراضي وعرة للإستقرار و العمل على تهيئتها، فقد حدد قرار سيناتوس كونسلت موقعهم وحدودهم الجغرافية لعجزهم على اثبات ملكيتهم للأراضي و قد كانت هذه الخطوة مسودة لمشروع قانون واربي1873.[3]

[1]- ايف لاكوست ، المرجع السابق ، ص 362 .

[2]- سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 69 .

[3]- المرجع نفسه، ص 69.

أما عن تطبيق سياسة جرد المنطقة فقد تبنت السلطة الفرنسية تدابير مختلفة لتعمير المنطقة، إذ استفادت الإدارة الفرنسية من القوانين الاستعمارية التي سبقت سنة 1870 م، والتي كانت بمثابة الأرضية التي قام عليها تعمير الجزائر وأخطرها قانون السيناتوس كونسلت .

وقد تم إحصاء في الجزائر خلال سنة 1876 م ، أكثر من خمسة و أربعين بين قبيلة و دوار في منطقة الونشريس و السرسو، منها : بني مايدة ، أولاد بسام ، أولاد عمار ، أولاد عياد ، بني محرز ، وبني النوار و غيرها التي كانت تعمر المنطقة[1]، وحسب ما ذكره الأستاذ سحنون فإن الإدارة الإستعمارية تجاوزت إحصاء السكان الذي كان يمثل(2%)من سكان الجزائر بمتوسط للقبيلة 5000 نسمة وكثافة سكانية سبعة نسمة في الكيلو متر الواحد، و قد تضمنت المحاضر الفرنسية في دائرة ثنية الأحد جرد كل ما في المنطقة من أودية و عيون مائية و مسح الأراضي و الغابات ،كما قامت بجرد ممتلكات المنطقة.[2]

كما اهتمت الإدارة العسكرية بالمنطقة من خلال وضع تقارير مفصلة مع نهاية القرن التاسع عشر، وأوكلت هذه المهمة لعقيد عسكري الذي قام بجولة في المنطقة و سجل ملاحظاته و حاول إحصاء كل ما تزخر به المنطقة و تضمنت توصيات واقتراحات حول كيفية تعمير المنطقة بالعنصر الفرنسي. [3]

ولقد تحولت مزايا منطقة الونشريس والسرسو الى موضوع إشهار ونذكر من ذلك كتاب السياحة في الجزائر الذي صدر سنة 1930 م ، والذي تناول حظيرة عين عنتر وحظيرة المداد وذكرهما بالتفصيل و حدد بعديهما عن التجمعات السكانية الكبرى فقد جاء في الكتاب نفسه ما نصه " يكفي اربع ساعات بين الجزائر و غابة المداد بثنية الأحد "[4]، إلى جانب إعتماده على مصطلحات لجذب المستوطنين مثل سبيريا الصغرى أو الصحراء لتشجيع التطفل و الفضولية ، كما أشار أبو القاسم

[1] - X Yacono ، (op . cit) ، p 46.

[2]- المرجع السابق ، ص 70 .

[2] – De Villeneuve Bargomont '' Dans l'Ouarsenis '' bulletin de la Société de géographie commercial tom XXI siège de la société paris 1899 pp 598 – 600.

[4] – De Bonneval – le général –، L'ALGERIE TORISTIQUE publication du comité national métropolitain du centenaire de L'Algérie 1930 ،pp 37 – 41

سعد الله بأن الصحافة الفرنسية اتهمت المبشرين الإنجليز الذين ينشطون بجبال الونشريس أنهم كانوا وراء أحداث منطقة الونشريس سنة 1901 م والتي عرفت بثورة عين التركي[1].

وبعد تحضير الأرضية سعت فرنسا الى تحويل بنية المنطقة والذي استهدف نظام القبيلة و كذا قيام بإحصاءات تعدت السكان ، لتصل إلى كل ما تزخر به منطقة الونشريس و السرسو و كل ذلك كان الغرض الأساسي منه تهيئة المنطقة و تحضير الأرضية المناسبة لتحقيق غرض الاستيطان .

2-2)- تنظيم المنطقة وتوسيع الاستيطان: تعددت البرامج الإنمائية التي عرفتها المنطقة، كما تم إنشاء الهياكل القاعدية لتسهيل تعمير المنطقة.

أ)- تنظيم المنطقة: من بين أهم ما جاء في هذا المشروع مد طرق المواصلات لربط أجزاء المنطقة ، كما رافق هذه المشاريع بناء مجموعة مخابئ على الطرق ، فقد ذكر الأستاذ سحنون بناءا على محاضر أرشيف الطرقات أنه تم انشاء حوالي 27 مخبئ بيت بتيارت و افريفيل[2] .

كما قامت شركات سكة الحديد بربط السرسو بالموانئ ، منها الخط الرابط بين غليزان و الجلفة و أعدت دراسات حول المنطقة ، و ركزت كل المصالح الإستعمارية على دراسة مناخ المنطقة و تقلباته وتداخل فصوله التي كانت حاجزا امام إستقرار المستوطنين ، ففي سنة 1911 م شهدت المنطقة أمطار غزيرة أحدثت هلعا و أدرجت ضمن الكوارث[3]، كما عملت على تشجيع المعمرين للانتقال نحو الجنوب في السهول العليا و السرسو وذلك لإيجاد سهولا جديدة للقمح و خاصة بعد انتعاش تجارته[4] ، ولإتمام ذلك قامت بإدخال أسلوبا زراعيا جديدا أطلقت عليه زراعة الأراضي الخشنة (Dry Farming)، الذي كان يقوم على إستعمال محراث كبير يستطيع أن يصل الى عمق ابعد عند تقليبه للأرض و يرافق

[1]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3 ، المرجع السابق ، ص 105 .

[2]- سحنون سعيداني ، المرجع السابق، ص 71 .

[3]- المرجع نفسه، ص 71 .

[4]- شارل روبير أجيرون ، تنمية الإستيطان في الجزائر ، تر محمد الطاهر العمودي ، مجلة المصادر، ع.2 ، 1999 ، ص ص 185 -195 .

هذه العملية إتباع دورة زراعية ، حيث تتناوب البقول الجافة المقاومة للجفاف و التي تتسلل، جذورها الى باطن الأرض و تعمل على نشر الأزوت في داخل القشرة مما يساعد على تخصيب التربة[1] .

ب)- توسيع الاستيطان: سعت مصلحة الإدارة الإستعمارية الاستيطانية بما توفر لها من أدوات ووسائل مادية و معنوية لتعمير منطقة الونشريس و السرسو . فقد نجحت في الإستيلاء على مساحات كبيرة ، و هذا ما أكده الأستاذ سحنون بعد إعتماده على المحاضر الأرشيفية للمنطقةّ أن نسبة ما تمت مصادرته مابين سنة 1870 م و سنة 1900 بلغ 79،5 % . فتوسعت ظاهرة الاستيطان بالمنطقة، فقد انتشرت القرى و المزارع بشكل مخيف كاد يخفي ملامح المنطقة[2] . و أقيمت مزارع المستوطنين أينما كانت مصادر المياه ، التي أصبحت تحمل أسماؤهم[3] ، وقد أدى توافد المعمرين الى تحول بنية المنطقة، فنجد أن بعض البلديات أصبحت أوروبية خالصة، فقرية فيالار التي ظهرت في بداية القرن العشرين بلغ تعدادها 1100 معمر في سنة 1924، وبلدية السرسو المختلطة أصبح تعدادها 16000 ألف معمر[4]

نتج عن هذا التوسع إبادة جماعية لسكان المنطقة وكنتيجة حتمية بتحول البلديات الى طابع أوروبي، فقد أدى المطاف إلى انتشار و ظهور الأحياء القصديرية التي انتشرت حول البلديات المستحدثة، والتي حملت اسم القرى السود (Village négre) و ذلك في كل بلدية ثنية الأحد و بلدية فيالار[5] .

ولتسهيل عملية الإستقرار ، فقد أدى ذلك بالإدارة الإستعمارية تجنيد العائلات الكبرى بالمنطقة، فكان على هاته الاخيرة التعامل مع الإدارة الإستعمارية للحفاظ على مكانتها . فمن خلال أبرز النقاط التي ذكرناها من خلال بداية تحضير الأرضية لتوطين المعكرين وكذا عملية إحصاء السكان وكل ما تزخر

---

[1]- المرجع السابق ، ص 73 .

[2]- جيلالي صاري ، المرجع السابق ، ص 141 .

[3]- معظم مصادر المياه في منطقة السرسو تحمل أسماء أوروبية مثل عين لورا و عين فوزي ، ينظر الى : سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 75 .

[4]- سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 75 .

[5]- شوقي الجمل ، تاريخ كشف أفريقيا و إستعمارها ، ط 4 ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ، 1980 ، ص 604 .

به المنطقة إستحداث تقنيات خاصة في المجال الزراعي ، كل هذا كان من وراءه سعي الإدارة الإستعمارية لتثبيت و توسيع الاستيطان بمنطقة الونشريس و السرسو .

المبحث الثالث: دراسة نموذجية لظاهرة الاستيطان (بلدية فيالار)

لإتمام دراستنا حول الاستيطان الفرنسي بمنطقة الونشريس و السرسو ، ارتئينا إلى وضع نموذج عن هاته الظاهرة ولعل أول من يتبادر إلى الأذهان هي ما تعرف ببلدية فيالار عاصمة الونشريس ، ونظرا للوضع الذي مررنا به و صعوبة التنقل لم نستطع الوصول إلى أرشيف المنطقة لإتمام الدراسة، ولكن بعد تواصلنا مع الأستاذ سحنون سعيداني الذي كان السباق في دراسة موضوعنا هذا فقد وافق على أن نأخذ الجزء الخاص بمنطقة فيالار ، وخاصة الأرشيف. و سنحاول هنا حصر هذه المنطقة بالفترة الإستعمارية ووضعها كمرآة عاكسة للبلديات التي استحدثتها الإدارة الإستعمارية .

3-1 إنشاء البلدية : حسب ما ذكره الأستاذ سحنون فقد تم انشاء بلدية فيالار بموجب مرسوم صدر عن الحاكم العام في 09 أوت 1924 م ، تضمن إنشاء العديد من البلديات في منطقة الونشريس و السرسو من بينها : بيردو ، فيكتور ، هيجو ، بورباكي ، فيالار[1] . ولقد تم إختيار منطقة سمسيل لتقوم عليها بلدية فيالار لعدة أسباب نذكر منها :

- ✓ تتوسط هذه البلدية ثنية الأحد و تيارت و تقع على محور أفريفيل (خميس مليانة حاليا) تيارت، الذي يمر عبر ثنية الأحد و منطقة سمسيل ، كما تتوسط بوغار الأصنام (الشلف حاليا) الطريق رقم 19 ، و بذلك تعتبر ملتقى الطرق للجهات الأربعة ، وتربط بين جبال الونشريس و سهل السرسو[2] . و تتوسط ثلاث تجمعات حضرية حيوية ، وتبعد عنهم بنفس المسافة تقريبا

[1]- سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 77 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 77 .

فيالار تيارت 59 كلم ، فيالار الورسنيس (برج بونعامة حاليا) 59 كلم و فيالار و ثنية الأحد 48 كلم[1].

- ✓ – وفرة المياه في المنطقة و انتشار عدد كبير من المصادر المائية على شكل عيون أهمها : عين سمسيل ، عين الصفا ، عين البرج[2] .
- ✓ – ارتفاع عدد المعمرين في المنطقة بسبب رغبة المعمرين الإستقرار في تجمعات سكانية واحدة ، فقد عرفت البلدية المستحدثة ثلاث عناصر أساسية من المعمرين عناصر فرنسية ، عناصر إسبانية ، وعناصر يهودية . و مثلت بذلك نواة الاستيطان الزراعي في المنطقة ، وظهر مبكرا بتأسيس أول مزرعة سنة 1889 م بعين كرمة التي تبعد عن فيالار بـ كلم واحد[3] .
- ✓ توفر المنطقة على البنية التحتية ،فمع بداية القرن العشرين عرفت تواجد الكثير من مخازن الحبوب و المخابئ التي انتشرت بين فيالار و تيارت .
- ✓ وقوع المنطقة وسط عدد كبير من قبائل الونشريس و السرسو منها ، بني مايدة جنوبا و أولاد عمار غربا ، و أولاد بسام شمالا وهم قبائل نصف رحل . جردها قانون السيناتوس كونسلت من ممتلكاتها و أوقف ترحالها هروبا من صعوبة المناخ و حولها الى قبائل مستقرة[4] .

لقد حملت البلدية اسم فيالار، و ينتمي سكانها الى عناصر أوروبية و يحملون الجنسية الفرنسية ، بينما سكان الجزائر الأصليون يعتبرون خارج البلدية ويتبعون بلدية السرسو ، وقد ظهرت البلدية مقسمة إثنيا و جنسيا بالعناصر الفرنسية تتوسط البلدية و اليهود يسكنون في أحياء قرب الأحياء الأوربيين ، كما استقر الوافدون الإسبان في شمال المدينة على شكل تجمع ريفي اكثر[5] ، واستقر السكان الجزائريون

[1]– بلدية تقع في أعالي الونشريس وحملت اسم الجبل تأسست سنة 1917 ، ينظر : جيلالي صاري ، المرجع السابق ، ص 141 .

[2]–للاطلاع على خريطة توضح المعالم الجغرافية لمنطقة فيالار ينظر " ملحق رقم (03)" .

[3]– سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 77 .

[4] – X Yacono ، – op ، cit – ، p 45.

[5]– سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 78 .

في المناطق المرتفعة للبلدية أراضيها غير مهيأة و حسب أستاذ سحنون أنها تنعدم للحد الأدنى من شروط الحياة و خالية من كل أنواع الخدمات الأساسية ، بحيث توزعت مساكنها عشوائيا وطرقها ضيقة لا تسمح بمرور عربة واحدة وأطلق على هذا الحي " القرية الزنجية Village négre "[1] ، و يجمع هذا الحي بين الخيمة و القوربي Gourbi (منزل مغطى بالطين) و المنزل المغطى بالقرميد. و يبلغ تعدادها البشري حوالي 1100 نسمة ، تتشكل من 16 عضو بالإضافة الى رئيس البلدية و أول مجلس بلدي لفيالار ترأسه الطبيب شارل يوكين[2] .

أما المجلس البلدي للمنطقة فكان يتكون من سكان البلدية الأوروبيون و اليهود و سكان الجزائر الذين يمثلون ربع المجلس كما ينص عليه القانون وممثلو سكان الجزائر يتشكلون من قياد مثل فرحات عبد الرحمن و المستخدمين في الإدارة الفرنسية مثل مرميط مولا الطيب[3] .

3-2 – فيالار في خدمة المستوطنين: اشار الأستاذ سحنون إلى أهم النقاط المدرجة في جدول الأعمال الخاصة بالمداولات لفترة 1924-1929 ، والتي نلخصها في النقاط التالية :

- ✓ أشارت المداولات الى المشاكل التي كانت تتخبط فيها البلدية و تضررها من العجز المستمر فقد ركزت المداولة الأولى للبلدية المؤرخة في 1924/12/31 م ، على عوامل العجز المالي للبلدية وذلك لصغر مساحتها و ما ينتج عنه نقص في المداخيل و إرافاع النفقات ، و لتدارك هذا العجز إتخذت عدة إجراءات منها كراء أراضي البلدية المتواجدة في غربها ، و فرض رسوم خاصة على إقتناء الكلاب ، بالإضافة الى إلزام الأهالي على دفع رسوم الخاصة بالسكن و التي لم تلزم المستوطنين بها

[1]- أطلق على هذا الحي الذي كان يعيش فيه الشعب الجزائري بالحي الزنجي و ذلك للظروف القاسية التى كان يعرفها الحي ، بحيث ظهر على شكل أحياء انتشرت في الجنوب الإفريقي وحول المدن الأمريكية و الأوروبية التى تعرف بالغيتو ، ينظر : سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 79 .

[2]- من بين أعضاء البلدية نذكر: مارتن غيستاف ، رينو بيار ، روجي جيربي ، آلبرت كوش فيكتور، ينظر : المرجع نفسه ، ص 79

[3]-المرجع نفسه، ص 79 .

، و كانت في البداية جزافية تقدر بفرنك واحد سنة 1925 م ، لكن في سنة 1927 م أعيد تنظيمها حسب نو السكن[1] .

- ✓ أشارت المداولات إلى عملية تهيئة البلدية لخدمة المعمر ، بربط البلدية بشبكة الكهرباء وشبكة الماء و شبكة الهاتف ، كما يجدر الإشارة أن المداولات التي تم عقدها خلال سنة 1927 م تناولت تنظيم البلدية ، وغياب الأحياء القصديرية التي كان يسكنها الجزائريون وكأنه غير موجودة و لا يظهر اسم الحي الا عند جمع رسوم السكن[2] .
- ✓ فرض الأمن بإنشاء وحدة شرطة للمدينة لتنظيم البلدية وشرطة الريف لتنظيم الأهالي (الجزائريين)، كما تم الإشادة بالإنارة الليلية التي وفرتها البلدية و التي جعلت المستوطنين من السكان الأوروبين يتطمأنون على عكس وضع الجزائريين .

3-3 – السياسة الاستعمارية اتجاه الأهالي:

رمت سياسة الاستعمار الفرنسي إلى إهمال الأهالي الذي كان مقصودا و هذا ما أكده الأستاذ سحنون إستنادا لمداولات بلدية فيالار، والتي نلاحظ من خلالها تغليب العمل الإداري عليها ويرجع ذلك الى عدة معطيات منها :

- ✓ تم إنشاء البلدية خدمة لمصالح المستوطنين ولإرضاء رغباتهم، فكانت إهتمامات البلدية ترتكز على تدعيم نشاطاتهم مثل إقتناء الكلاب وإفتتاح موسم الصيد[3].
- ✓ غياب ممثلي الأهالي ، ففي كل المداولات سجل غياب نصف ممثليهم و قد أضر هذا كثيرا بمصالحهم، خاصة خلال عملية التصويت على بعض القرارات مثل التعليم و رسوم السكن[1] .

[1]- حدد سعر السكن بالقرميد 5 فرنك و الخيمة 1 فرنك ، ينظر : سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 80 .
[2]- سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 81 .
[3]- المرجع نفسه ، ص 82 .

- ✓ لا ينتمي ممثلو الأهالي في معظمهم إلى القاعدة، فبعضهم كانوا قيادا و البعض الآخر أعوان في الإدارة و معينين من طرف رئيس البلدية ، الذي كان يكلف أحد القياد بإعداد القائمة و حضورهم كان إختياريا مسبقا[2] .

- ✓ ظهر حقد المجلس البلدي على الأهالي في عدم التكفل بحل مشاكلهم ، الى جانب وقوفه امام طموحاتهم في شتى الميادين مثل التعليم و الصحة ، و قد لخصها جاك برك في قوله هذا: "إن تعسف الإدارة هو خلاصة الإنتصار و شرعية الهزيمة"[3] .

من خلال دراستنا النموذجية لبلدية فيالار، فإنه يتضح بأن الإدارة الإستعمارية ركزت بشكل كبير على تصميم البلدية لإستقرار المعمرين سواءا الفرنسين أو غيرهم ، وكما لاحظنا جليا إهمال الإدارة الإستعمارية للأهالي ووضعهم تحت الهامش فنجد الحالة الوحيدة التي تدخلت فيها البلدية هي مساعدة أحد الأهالي بإعفائه من الرسوم الخاصة بالسكن ، و اشاد المجلس البلدي بهذا الإعفاء و كاد أن يضعه ضمن العمل البطولي للبلدية ، فنقلا عن الأستاذ سحنون فقد جاء في المداولات المتعلقة بهذا الموضوع مايلي " لقدأطلع المجلس على التماس السيد (شاكرون جداس) عمره 75 سنة و الساكن بفيالار وعدم قدرته على تسديد المبلغ المحدد فقرر المجلس إعفاءه من الدفع[4] ".

كما لاحظنا غياب دور ممثلي الأهالي في المجالس البلدية ، كل هذا يقودنا الى مدى سعي السلطة الإستعمارية تثبيت أقدامها من خلال إستحداث بلديات مقابل تهميشها للجزائريين الذي يمكننا القول أنها إعتبرتهم عائقا أمام مشروعها الاستيطاني .

---

[1]- إن كل المداولات تسجل غياب بعض ممثلي الأهالي و تتناول بعض الجلسات الحضور الإختياري لممثلي الأهالي في بعض اللجان ينظر: سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 82 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 83 .

[3] - J berque ، Le MAghreb entre deux guerre ،collection esprit / seuil Paris 1962 ، p 252

[4]- المرجع السابق ، ص 82 .

المبحث الرابع : رد فعل منطقة الونشريس و السرسو من مشروع الاستيطان ما بين (1870-1930)

لقد تميزت هاته الفترة عن سابقتها ، حيث تميزت بتحول سياسة المحتل من الأسلوب العسكري المسلح الذي كان يهدف إلى طرد المستعمر نحو الأسلوب السلمي ، وذلك من أجل الحفاظ على مقومات المنطقة و الدفاع على مصالح أهلها ، و قد جسدت هاته المقاومة جدار الدفاع ضد المشاريع والإجراءات الإستعمارية التي إعتمدتها فرنسا ، وقد قاوم سكان المنطقة هاته السياسة و جاءت هاته الردود مختلفة ومتنوعة وسنقف عند البعض منها من خلال عرضنا لهذا العنصر

4-1 التمسك بالأرض : لقد رفض سكان منطقة الونشريس و السرسو التنازل عن أرضهم وكان هذا مبدءا ثابتا في تعامل السكان مع الإدارة الإستعمارية ، فمع تطبيق قوانين مصادرة الأراضي بدأ سكان المنطقة بإستظهار وثائق الملكية و من بينها وثيقة إحتجاجية منقولة من الأستاذ سحنون ، التي كانت بلا عنوان موضوعها (تقييد بلاد ولاد سيدي رابح) و تضمنت تحديد المسافة الزراعية وأستهلت الوثيقة بشرح دواعي تحريرها و ختمت بالدعوة الى الشهادة بصحتها[1] . وتم نقل نسخة منها الى اللغة الفرنسية من طرف الكاتب المعتمد في مليانة .كما حاول سكان المنطقة إثبات المعاملات العقارية و تسجيلها في المحاكم الفرنسية و إشهارها بعد ختمها بخاتم رئيس لجنة مصلحة الاستيطان[2] .

كما رفض سكان المنطقة التخلي عن الأرض و هذا ما أشارت إليه مصلحة الطرقات في بعض محاضرها إذ ورد فيها ما نصه : " لجوء أحد الفلاحين الى حراثة حافتي الطريق و على طول 300 متر وفي مناطق عدة و لكن لم تحدد تلك المحاضر مكان الأرض بذات ، و كذا نشرت نفس المصلحة قيام

[1]- كتب في أعلى الوثيقة الحمد لله ، للاطلاع على المزيد من التفاصيل ينظر الملحق رقم (04).

[2]- سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 84 .

أحد الفلاحين في منطقة الونشريس و السرسو الى حفر طريق و تخريبها بسبب مرورهم بأرضه رافضا كل مساومة أو تهديد "[1] .

ومن هنا نلاحظ أن هذا التصرف من طرف السكان ليس عنادا بل مظهر من مظاهر الدفاع عن الأرض ، حتى و إن كانت هاته المواقف المحتشمة لم ترتقي لمستوى الثورة و لكنها اقتربت من التمرد و رفض سياسة المستعمر و مرآة عاكسة لمقاومة الإستعمار و إن كانت محاولات فردية و لكنها أظهرت بحق مدى رفض سكان المنطقة للتواجد الفرنسي ، و التي أدت الى فشل سياسة إدماج الجزائرين و التي عبر عنها أحد المعمرين في قوله : " وجدنا أنفسنا و سنجد أنفسنا أثناء وقت طويل إزاء شعب لا يتحمل الا بمشقة سيطرتنا وهو يلتمس كل الوسائل و يغتنم كل المناسبات ليتحرر "[2] .

4-2 الدعوة الى المساواة :من بين المواقف المعبرة عن سكان المنطقة تحقيق مطلب المساواة ، و أن لم يكن بذلك النضج و القدر الذي عبرت عنه جمعية الجزائر الفتاة ، أو ما عبر عنه كذلك التيار الذي قاده الأمير خالد[3] .

فقد جاء رد الفعل كنتيجة عن السياسة الإستعمارية وقيام مصلحة الاستيطان ببيع الأراضي من أصحابها للمعمرين ، فكان موقف السكان تلقائي تمثل في تدوين عرائض و من بينها ، تلك المؤرخة في 3 سبتمبر 1899 م[4]، إذ كتب في أعلاها الحمد لله ووضع على يسارها من الجهة العليا خاتم رسوم البريد، واستهلت بديباجه تبجل الحاكم[5]،ثم الإنتقال إلى طرح الموضوع وهو تسوية مشكلة عقارية و دعمها

[1]- سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 85 .

[2]- جيلالي صاري ، المرجع السابق ، ص 14 .

[3]- الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري من دعاة الإصلاح . ينظر : بسام العسلي ، الأمير خالد الهاشمي الجزائري ، دار النفائس بيروت ، 1982 ، صص105-166 .

[4]- للاطلاع على هذه العريضة الاحتجاجية، ينظر ملحق رقم (05).

[5]- استعمل هذا الأسلوب في الديباجة خلال القرن 19 عشر . ينظر : براهيم مياسي ، توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي 1881-1912 ، منشورات المتحف الوطني ، - د.ت - ، ص 204 .

بالأدلة والقرائن ، لينتقلوا الى تعليل مطلبهم و في الأخير أوصوا بأن تبلغ عريضتهم إلى السلطات العليا وتختم بأسماء الموقعين على العريضة .

وكما ظهر مطلب المساواة في منطقة الونشريس و السرسو جليا من خلال المداخلة التي قدمها فرحات احميدة خلال مداولات بلدية فيالار ، المتعلقة بالتعليم تحت عنوان 'تعليم الأهالي، إذ طالب بفتح قسم في المدرسة الأوروبية وعلل ذلك بأن" أطفال الأهالي الذين يتمدرسون لهم مظهر لائق ليس هناك مانع لتعليمهم إلى جانب الأطفال الأوروبيين تحت سقف واحد و في المدرسة الأوروبية"[1] .

3-4 المقاومة الثقافية : لقد تجسد رد فعل المقاومة الثقافية في الدفاع عن الدين واللغة العربية، و ذلك من خلال تشييد المساجد و دور العبادة ، فقد عرفت ثنية الأحد بناء مسجد محمد بن أحمد و شهدت السرسو تشييد أول مسجد سنة 1913 م ، وقام بتشييده القايد بلقاسم بن مول الحدبة بن الأغا جلول أحد نواب الأمير عبد القادر الذي أشتهر بمسجد سي بن شرقي[2] . و قد تم إقامة المسجد على أنقاذ منزل القايد بلقاسم ، وقد جاءت موافقة السلطات الفرنسية على بناء المسجد مقابل التجنيد الإجباري الذي طبقته في المنطقة. وقد تمت الموافقة على بنائه من طرف والي العاصمة بعد الطلب الذي تقدم به السكان الى حاكم مليانة، بشرط أن يتم على نفقة الأهالي و دون مساعدة السلطات الفرنسية.

بعدها حول الطلب إلى والي الجزائر الذي وافق على المطلب، ويمكن القول حسب ما ذكره الأستاذ سحنون حسب تحليله لوثيقة الحبوس في المحكمة سنة 1931م، أنه كان للمسجد دورا تعليميا، حيث نصت على تعليم أبناء المنطقة تعليما دينيا خاصة حفظ القرآن، فقد جاء في الوثيقة ما نصه: "...والطلبة الذين يقرأون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من حيث بناه إلى قيام الدين ..."[3].

[1]- سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 88 .

[2]- سي بن شرقي : و هو مؤسس زاوية التعليم الديني بمدينة العطاف وكان يتعلم في مدرسته الكثير من أبناء الونشريس ولتوطيد العلاقة بينه وبين المنطقة زوج أبناءه منها وعند تأسيس مسجد فيالار سمي عليه، ينظر: سحنون سعيداني، المرجع السابق، ص 89.

[3]- سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 90 .

أما المظهر الثقافي الثاني الذي عرفته منطقة الونشريس و السرسو هو المظهر الأدبي الشعري الذي تم تدوينه باللغة العامية ، وكانت منصاته أماكن التعزية خاصة أن المنطقة كانت تعرف إرتفاعا في عدد الوفيات التي أزعجت حتى السلطات الفرنسية ، فقد قامت خلال سنة 1930 م بإحصاء عدد الوفيات في منطقة ثنية الأحد و حررت قائمة دون الإشارة الى سبب الوفاة[1] . ومن هؤلاء الشعراء نذكر عمر الغانمي[2]، الذي تحولت قصائده الى معلقات تحفظ عن ظهر قلب خاصة قصيدة "يا خالقي فرج ذا الحال راه شيان "ومما ورد في بعض أبياتها:[3].

يا خالقي فرج عنا ذا الحال راه شيان *** أنت راحم ترحمنا بالخير والغفران
لسلام راها مغبونة في ذل مضرب مهيونة *** وعقول حاير مفتونة عياونا البوان
لسلام راها في ضيقة ذري وراجل وخليقة وعراي *** والله شليقة لا خيط لا كتان
لسلام راها تتعذب صحيح مانيش نكذب***نيران حمراء تتلاهب ورقات في الإنسان
يا خاوتي راني حاير ماراه في الأمة *** صاير لبسو غراير وشكاير وحصاير وبيشان
يتلايمو في الجرايه و جنابهم حمر عراية *** وقضاوهم غير شفاية لا قوت لا تسخان
قهوة مخلط من كلش بلوط محروق مدشش *** كرموس وشعيير وحمص ولا ربع الوان
اذا تسال على المطمر جابو قباطن والعسكر***مولاه مسكين توخر ويشايح بالعيان
مولاه مسكين توخر و رزقو قبالو يتبعثر *** ويذا تكلم ولا هدر الحبس والنفيان
من كان في قلبه شفعه يبكي علينا بالدمعة *** يا خالقي رد الساعة والعاقبة تزيان
مزالت الأمة تفرح علفة والبارود يطحطح *** ووجوه ترجع تتفتح كالورد والنعمان
مازالت الأمة تفرح ويروح الشادي يسرح *** ويذا يبقى ربي بصح حدو موات جوان

[1]– المرجع نفسه ، ص 90 .

[2]– **عمر الغانمي – 1902 – 1969** : ولد بمنطقة عين توكريا مارس عدة أعمال منه مطعمي في الحراش بالجزائر وعاد الى فيالار، حيث مارس نفس الحرفة ، ينظر : نفسه ، ص 90 .

[3]– القصيدة من الشعر الملحون تحفظها ذاكرة المنطقة لعمر الغانمي، ينظر: الملحق رقم: ( )

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الإستيطان الفرنسي بمنطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1844- 1930) منه يمكننا استخلاص النتائج التالية نجملها في النقاط التالية :

✓ أن المنطقة تستحوذ على مساحة واسعة بحيث أن منطقة الونشريس تمتد على طول 150كم أما سهل السرسرو فقدرت مساحته 320 ألف هكتار مما جعلها تأخذ حيزا كبيرا من ست ولايات فتدخل ولاية تسمسلت بشكل كلي والجانب الشمالي من ولاية تيارت والجانب الغربي من ولاية المدية والجانب الجنوبي لولايتي عين الدفلى والشلف والجانب الغربي لولاية غليزان.

✓ تنوع القبائل ومن بينها مغيلة وزناتة واختلاف الأراء في أصوله سواء من أوربا أو مصر.

✓ من خلال دراسة علاقة القبائل المنطقة تحديدا في الفترة العثمانية فنجد أن الطابع الطرقي كان المساهم في التقارب بينهما وذلك أن القبائل تتبع الطريقة القادرية التي تعترف بالخلافة العثمانية ولكن ذلك لم يمنع من وجود فترات خلاف بينهما.

✓ خلق الاستيطان هدفا جوهريا تمثل في تحقيق المساعي التي تخدم المصالح الفرنسية، ذلك أن الإستيطان قد بنى سياسته في الجزائر عامة و بالمنطقة خاصة على أبعاد شملت الأرض و الإنسان معا لتحقيق أطماعه التي برزت و تعاظمت مع الوقت فنجاح التجربة الإستيطانية هو نجاح للنظام الاستعماري عامة لذلك نجد بأن سياسته الإستيطانية كانت ترمي إلى تهديم أسس المجتمع الجزائري وفك ترابط القبيلة ليس دما فقط بل بالأرض و هي اللبنة الأساسية التي كان يقوم عليها المجتمع الجزائري وذلك من خلال تشريع قانون سيناتوس كونسيلت 1863 الذي قيل عنه بأنه كان عربيا أكثر من العرب فقد اعتبر من بين أخطر القوانين العقارية الإستيطانية التي تم إصدارها طيلة الفترة الاستعمارية وهذا بالنظر إلى النتائج الوخيمة التي ترتبت عنه حيث أدى إلى تفكيك أراضي العرش، وتحطيم النسيج الاجتماعي حيث قسم قبائل الونشريس إلى نصفين البربر الذين سكنوا المرتفعات و العرب الذين أجبروا على الاستقرار في السهول.

✓ دفع النجاح النسبي الذي حققه مشروع الإستيطان بمنطقة الونشريس والسرسو إلى اعتقاد بعض الباحثين ان سكان المنطقة كانت لهم قابلية للاستعمار و لكن هذا الزعم مضلل لأنه تجاهل عاملين مهمين وهما : أولهمها الأساليب الاستعمارية المطبقة بالمنطقة، وثانهما رد فعل المقاومة الجزائرية بالمنطقة

✓ فبخصوص النقطة الأولى ينبغي إدراك أن الإستيطان الفرنسي بنوعيه العسكري و المدني حاولا تفريغ المنطقة و استغلالها من خلال الإبادة و المجازر التي ارتكبت في حق سكانها بأبشع الوسائل المتاحة للجيش الفرنسي فلجأ الاستعمار إلى إستيراد المهاجرين من أوروبا إلى الجزائر ثم إلى الونشريس خاصة من خلال إنشاء بلديات ومراكز إحتلال بلغ عددها ثلاثين مركز للمستوطنين، واستغلال المساحات الغابية.

✓ ركز الاستعمار الفرنسي على الأسلوب العسكري في سياسته فشن حربا على المنطقة ولم يستثني منها أحد وذلك من خلال التنويع في الأساليب الوحشية من أبرزها ارتكابه لمجازر إبادة من بينها مجزرة قبيلة أولاد رياح، بني مايدة، مجازر تاقدمت... و غيرها التي لن تمحى من الذاكرة التاريخية والانسانية

✓ واصلت فرنسا سياستها الأبدية خلال الفترة المدنية وذلك بالتهجير الجماعي وتفريغ منطقة الونشريس خاصة المناطق السهلية و الغابية و تحويل سكانها إلى رعايا و خماسين في أراضيهم لا يحق لهم الدفاع عن حقوقهم من خلال عدة قوانين مدنية أهمها قانون وارني .

✓ بعد الحرب العالمية الأولى حاول الإستيطان الفرنسي النهوض بمنطقة الونشريس و السرسو من خلال الإصلاحات للدفاع عن مصالح المعمرين و وضع سكان الجزائر خارج هذه الإصلاحات

✓ و خلاصة للقول إن السياسة الإستيطانية بالمنطقة ، قد نجحت في تحقيق البعض من أهدافها خاصة في المجالين الاقتصادي و العسكري من خلال هدم البنية الاقتصادية و تحطيم التوازن الاجتماعي الذي كان قائم؛ في حين أنها فشلت في تحقيق الأهداف السياسية إذ لم تستطع تحطيم أواصر التكافل بين أفراد قبائل المنطقة وإخضاعها وفرضها على الاستسلام، فقد عرفت المقاومة الجزائرية رد فعل قوي في الدفاع عن المنطقة فتحولت منطقة الونشريس و السرسو إلى قاعدة عسكرية لمقاومة الأمير عبد القادر فقدمت له الدعم المادي و البشري تحدث عنه الفرنسيون أنفسهم أمثال الجنرال بيجو و بيليسي و

سانت آرنو في مذكراتهم الشخصية كانت نتيجتها إبادة القبائل التي ساعدت المقاومات عن طريق الجيش الفرنسي منذ 1841 و امتدت المقاومة الشعبية إلى غاية 1847 بقيادة شريف بومعزة و الآغا فرحات جلول ثم تجددت سنة 1864 ولم تنطفئ نيرانها إلا مع نهاية القرن 20 .

✓ عرفت المقاومة في المنطقة أسلوبا جديدا تمثل في المقاومة السلمية الثقافية من خلال إصدار العرائض و كتابة الشعر الشعبي الذي عبر فيه السكان عموما والنخبة منه على وجه الخصوص معارضتهم للسياسة الإستيطانية ورفض التخلي عن الأرض حيث سار لهم حس وطني و قضية ثابتة .

الملاحق

الوثائق

ملحق رقم (01) : نموذج من العرائض الإحتجاجية[1]

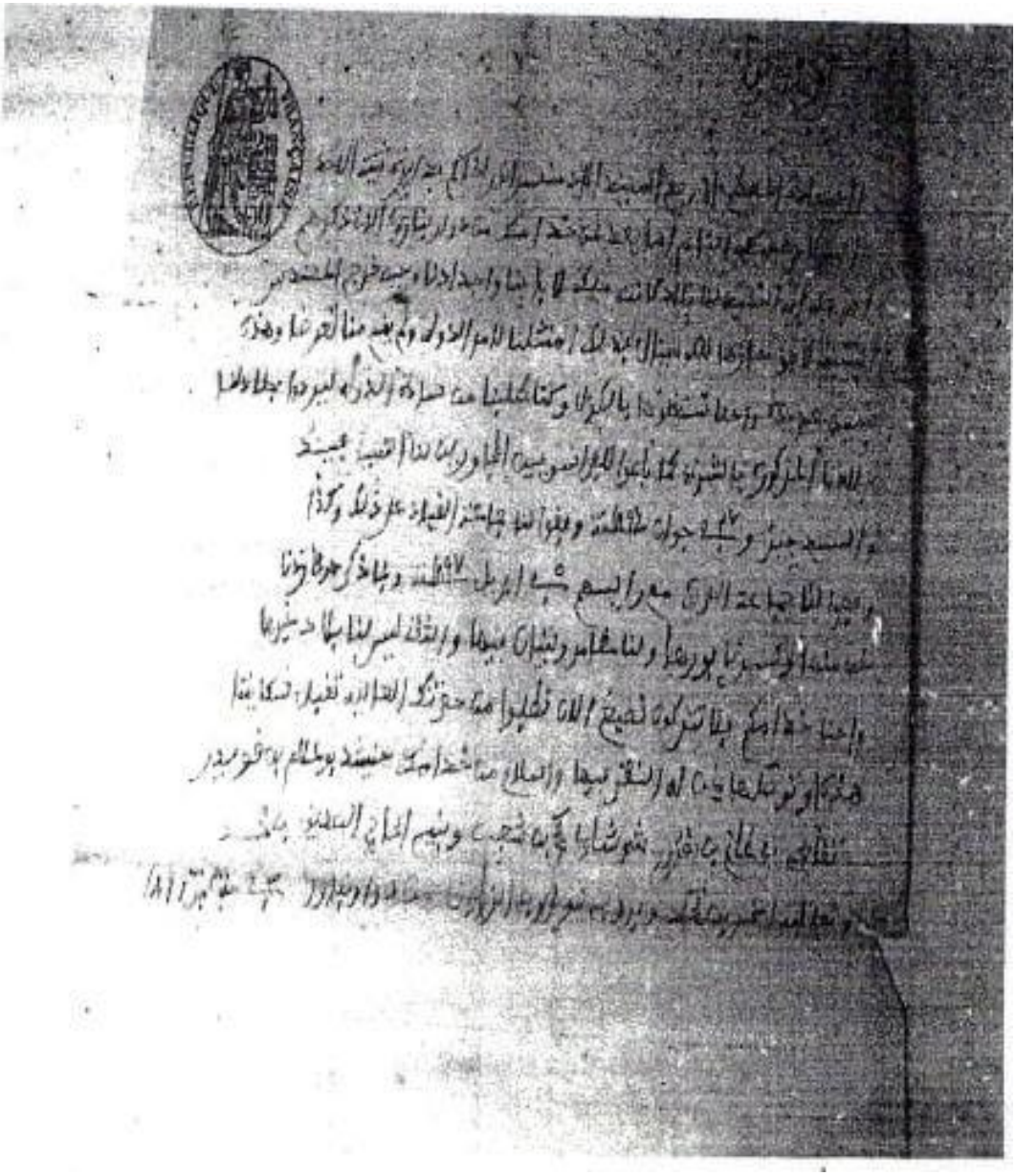

[1]- سحنون سعيداني، المرجع نفسه، ص 95.

ملحق رقم (02) : نموذج من العرائض الإحتجاجية [1]

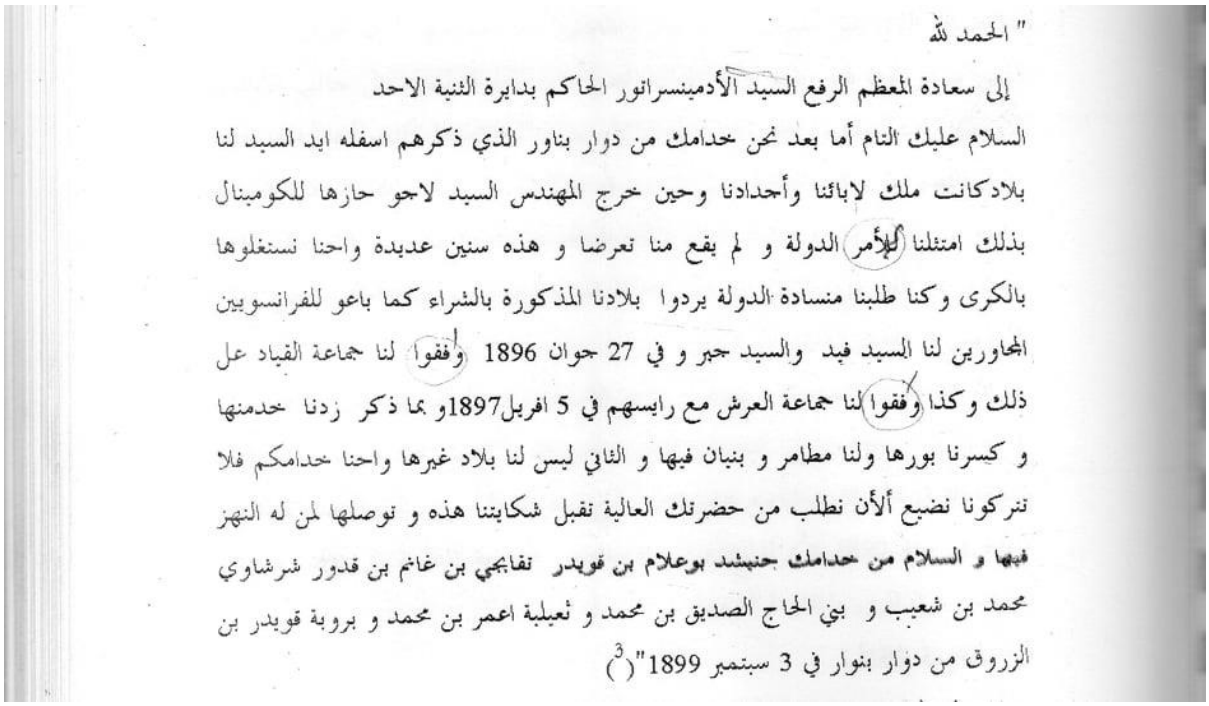

" الحمد لله

إلى سعادة المعظم الرفع السيد الأدمينسراتور الحاكم بدايرة الثنية الاحد

السلام عليك التام أما بعد نحن خدامك من دوار بناور الذي ذكرهم اسفله ايد السيد لنا بلادكانت ملك لابائنا وأجدادنا وحين خرج المهندس السيد لاجو حازها للكومينال بذلك امتثلنا للأمر الدولة و لم يقع منا تعرضا و هذه سنين عديدة واحنا نستغلوها بالكرى وكنا طلبنا منسادة الدولة يردوا بلادنا المذكورة بالشراء كما باعو للفرانسويين المجاورين لنا السيد فيد والسيد جبر و في 27 جوان 1896 وفقوا لنا جماعة القياد عل ذلك وكذا وفقوا لنا جماعة العرش مع رايسهم في 5 افريل1897و بما ذكر زدنا خدمنها و كسرنا بورها ولنا مطامر و بنبان فيها و الثاني ليس لنا بلاد غيرها واحنا خدامكم فلا تتركونا نضيع ألأن نطلب من حضرتك العالية تقبل شكايتنا هذه و توصلها لمن له النهز فيها و السلام من خدامك جنيشد بوعلام بن قويدر تقابجي بن غانم بن قدور شرشاوي محمد بن شعيب و بني الحاج الصديق بن محمد و ثعيلبة اعمر بن محمد و بروبة قويدر بن الزروق من دوار بنوار في 3 سبتمبر 1899"([3])

[1] – سحنون سعيداني، المرجع نفسه، ص 87.

ملحق رقم (03): القصيدة من الشعر الملحون تحفظها ذاكرة المنطقة لعمر الغانمي[1]

يا خالقي فرج عنا ذا الحال راه شيان * * * * * أنت راحم ترحمنا بالخير والغفران
لسلام راها مغبونة في ذل مضرب مهيونة * * * * *وعقول حاير مفتونة عياونا البوان
لسلام راها في ضيقة ذري وراجل وخليقة وعراي * * * *والله شليقة لا خيط لا كتان
لسلام راها تتعذب صحيح مانيش نكذب***نيران حمراء تتلاهب ورقات في الإنسان
يا خاوتي راني حاير ماراه في الأمة *** صاير لبسو غراير وشكاير وحصاير وبيشان
يتلايمو في الجرايه و جنابهم حمر عراية *** وقضاوهم غير شفاية لا قوت لا تسخان
قهوة مخلط من كلش بلوط محروق مدشش *** كرموس وشعيير وحمص ولا ربع الوان
اذا تسال على المطمر جابو قباطن والعسكر****مولاه مسكين توخر ويشايح بالعيان
مولاه مسكين توخر و رزقو قبالو يتبعثر *** ويذا تكلم ولا هدر الحبس والنفيان
من كان في قلبه شفعه يبكي علينا بالدمعة * * * * يا خالقي رد الساعة والعاقبة تزيان
مزالت الأمة تفرح علفة والبارود يطحطح * * * * ووجوه ترجع تتفتح كالورد والنعمان
مازالت الأمة تفرح ويروح الشادي يسرح * * * ويذا يبقى ربي بصح حدو موات جوان

[1]- سحنون سعيداني ، المرجع السابق ، ص 90 .

ملحق رقم (04): منحنيين بيانيين يلخص التوسع الاستيطاني [1]

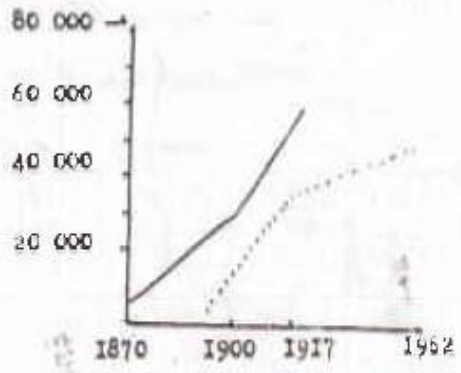

6ـ توسع صيغتي الاحتلال بالونشريس

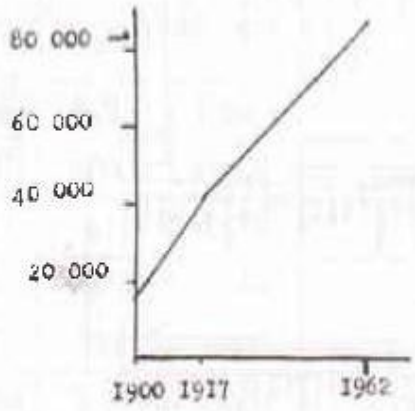

7ـ قسمة أراضي المزارعين داخل تكوين المحيطات الاستعمارية بالونشريس

[1]- جيلالي صاري، المرجع السابق، ص147.

ملحق رقم (05): جدولين لتوزيع مركز الاحتلال وحصة أراضي المزارعين داخل تكوينات المحيطات الاستعمارية[1]

18. توزيع مراكز الاحتلال

المناطق	المجموع	التوسع		قبل 1870	1870- 1900	1900- 1911
		مرة	مرتين			
زمورة	5	1	1	1	1	3
عمي موسى	7	2	1	1	4	2
الأصنام	6	3			4	2
ثنية الحد	6		1		4	1
قصر البوخاري	3				3	
المجموع	27	6	3	2	16	8

19. حصة أراضي المزارعين داخل تكوين المحيطات الاستعمارية

المناطق	1900	1917	1962	%
زمورة	238	6595	22205	%83
عمي موسى	5957	15652	41564	%95
الأصنام	5935	11820	16244	%90
ثنية الحد	3325	6500	8746	%99
قصر البوخاري	900	900	43	%0.9
المجموع	16355	40468	88802	%82

[1]- جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 150.

الخرائط

ملحق رقم (1) :خريطة توضح حدود منطقة الونشريس [1]

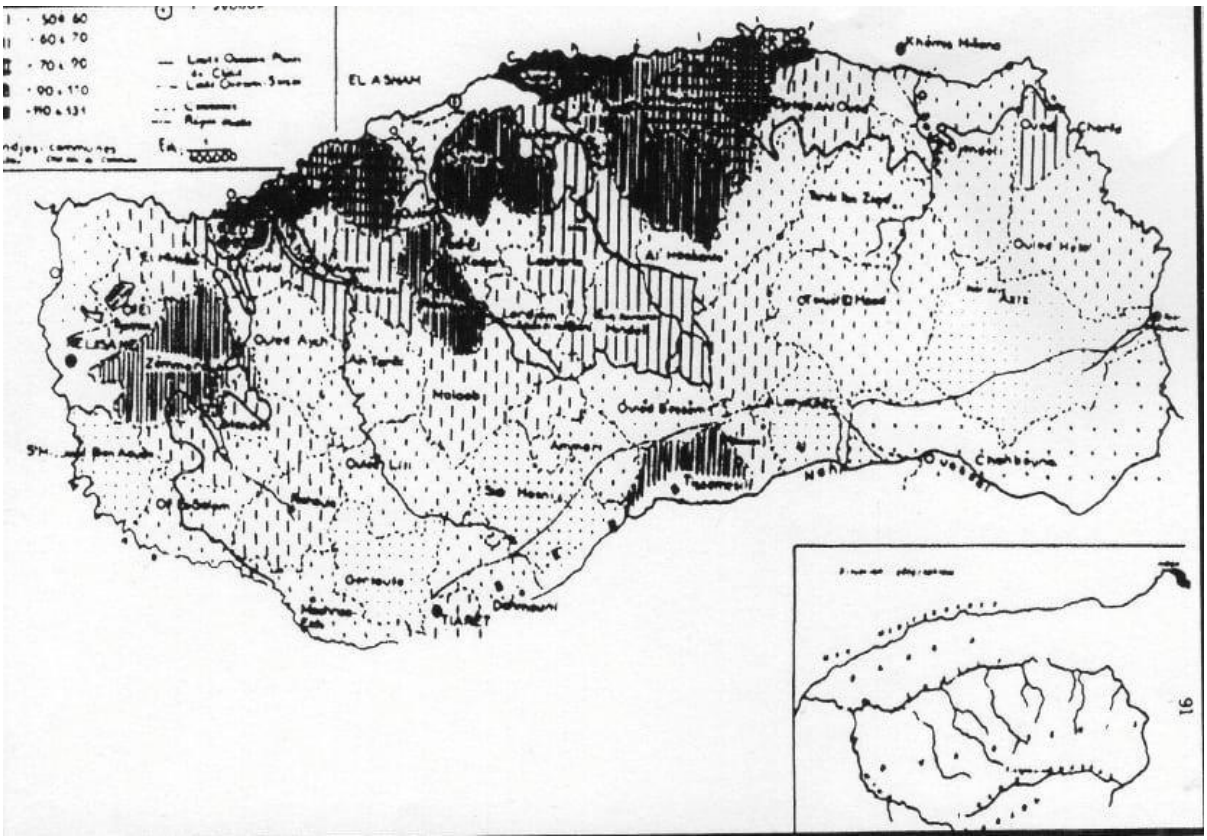

[1]– مجلة الأبحاث، ع.2، منشورات دار الثقافة، تسيمسلت، سنة2013، ص63.

ملحق رقم (2) : خريطة توضح المعالم الجغرافية لمنطقة السرسو [1]

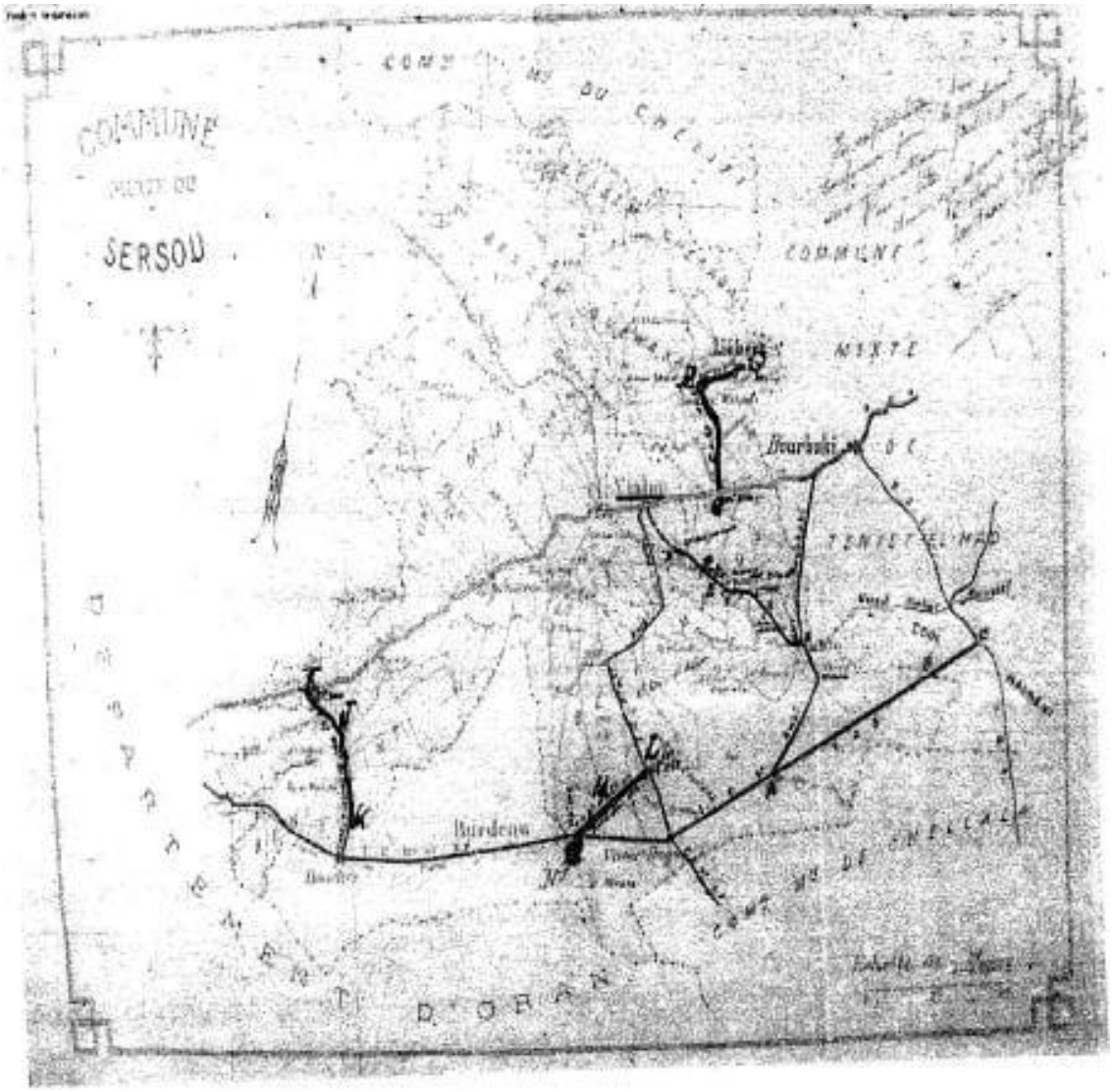

[1]- سحنون سعيداني، المرجع السابق، 114.

ملحق رقم (3) : خريطة توضح المعالم الجغرافية لبلدية فيالار (تسيمسلت) [1]

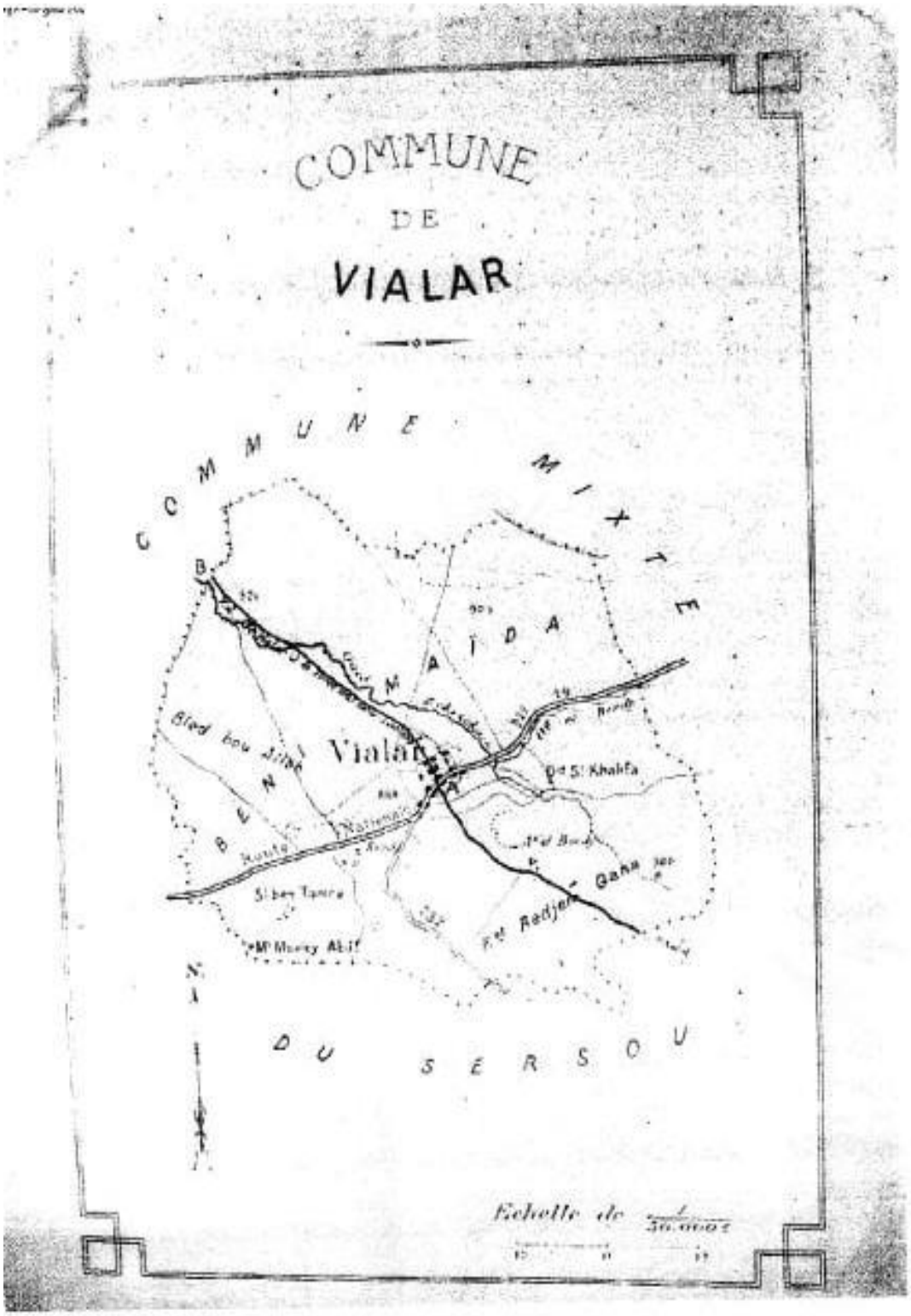

[1]- سعيداني، المرجع نفسه، ص 115.

ملحق رقم (04): خريطة توضح توسع الاحتلال في منطقة الونشريس[1]

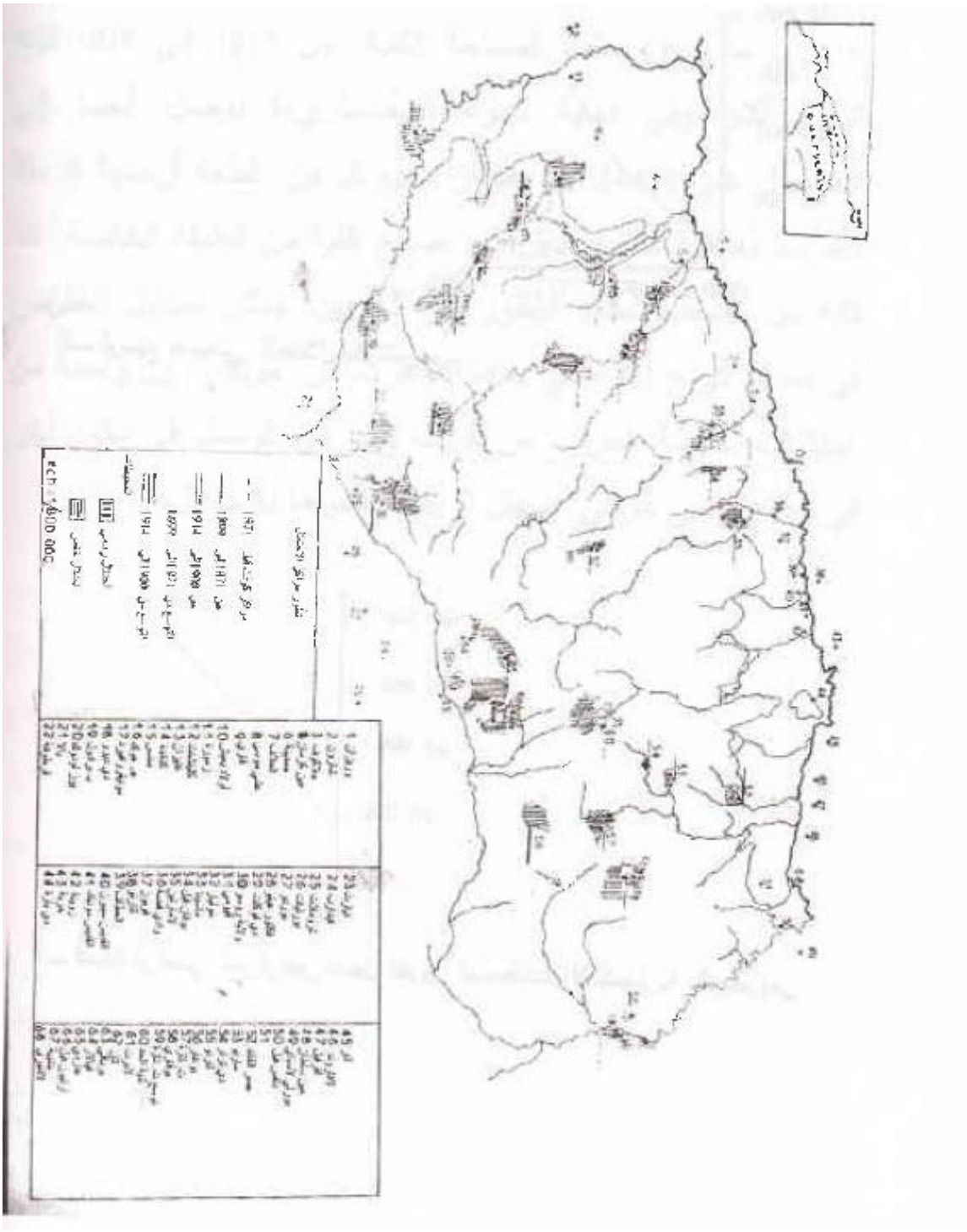

[1]- جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 148.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

I- المصادر:

أ- باللغة العربية :

1- برونو ايتين ، الأمير عبد القادر الجزائري ، ترجمة ميشيل فوزي، دار الفارابي، باريس، 1995.

2- بيرنت يوهان كارل ، الأمير عبد القادر ، ترجمة و تحقيق أبو العيد دودو ، دار هومة ، الجزائر، 2009

3- الحاج مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2009 .

4- الحموي ياقوت ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ،(د ت)

5- سانت آرنو، مذكرات الماريشال سانت آرنو1841-1844، ترجمة عبد القادر ليفا بداه المهدي، ج2، طبعة خاصة بوازرة المجاهدين ، 2009 .

6- شارلز هنري شرشل ،حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة وتعليق وتقديم أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، طبعة خاصة ، الجزائر، 2011.

7- شالر وليام ، مذكرات وليام شالر (1816-1824) ، تعريب و تعليق إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية لنشر و توزيع ، الجزائر ، 1982 .

8- الشريف الادريسي أبو عبد الله ، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس ، تحقيق وتقديم إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983

9- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج3 ، منشورات مؤسسة الإعلامي للمطبوعات ، بيروت، 1971 .

10- المغربي ابن الحسن علي ابن موسى بن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق وتقديم إسماعيل العربي، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1982 .

11- النصيبي أبو القاسم بن حوقل ، صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979 .

12- هانريش فون مالتسان ، ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا ، ترجمة أبو العيد دودو ، المجلد ثالث ، ط خ ، وزاره المجاهدين ،دار الحكمة ،الجزائر ،2009

13- الوزاني الفاسي الحسن بن محمد ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حصين ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، دط، ج2 ، 1983

ب- باللغة الفرنسية :

1- ALEX-BELLEMARE , ABD-EL-KADER , librairie de la hachette et cie paris 1863 .
2- De Bonneval(Le général), L'ALGERIE TOURISTIQUE , publication du comité national métropolitain du centenaire de L'Algérie 1930 .
3- De Villeneuve Bargomont, « DANS I,Ouarsenis » ,bulletin de la société de géographie commercail, Tom II, siége de la société, paris, 1899.
4- GZELL(stephane), HISTOIRE ANCIENNE DE L'AFRIQUE DU NORD, tome II libraire hachette paris 1928 .
5- J berque, le meghreb entre deux guerres, collection esprit /seuil paris 1962 .
6- J Harmond , DOMINATION ET COLONISATION, Ernest Flammarion éditeur Paris 1910 .
7- M BAGEJA , Au pays de moisson , édition fontana Alger 1948.
8- M.Victor Foucher, LES BUREAUX ARABES EN Algérie, Librairie enternationale de l'agriculture et de la colonisation, Rue de richelieu, 110, Paris, 1858.
9- N . FAUCON , Livre d,or de l,Algérie , tome I challamel paris 1889 .
10- P.AZan , Les Grands soldats , publication Du National Métropolitain du cent unaire de l Algérie , Alger 1930 .
11- SHAW, VAYAGE DANS LA REGENCE D'ALGER, traduit par J . MACCARTHY , chez Marlin éditeur Paris 1830.

12- Xavier Yacono, LES Bureaux Arabes et l'évolution des genres de vie indigénes dans l'ouest de tell Algérois tome l, vol : 78, Editions larose, paris, 1953

II- المراجع :

أ- باللغة العربية :

1-آجيرون شارل روبر ، تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 2008 .

2-الأشرف مصطفى ، الجزائر الأمة و المجتمع ، ترجمة حنفي بن عيسى ،دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007 .

3-أندري جوليان شارل، تاريخ شمال إفريقيا ، تعريب محمد مزالي و بشير بن سلامة ، دار التونسية للنشر ، 1983 .

4-ايف لاكوست و آخرون ، الجزائر بين الماضي و الحاضر ، ترجمة إسطنبولي رابح و منصور عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 .

5-بلاح بشير ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1889)، دار المعرفة ،(د ط) (د ت) .

6-بلغيث محمد الأمين ، تاريخ الجزائر المعاصر ، ط4 ، البصائر ، الجزائر ،2013 .

7-بن داهه عدة ، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر(1830-1962) ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، ج1 .

8-بوحوش عمار، تاريخ الجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 .

9-بوعزيز يحي و ميكل دوابيالزا ، الجديد في علاقة الأمير عبد القادر مع إسبانيا ، دار البعث ، قسنطينة ، 1982 .

10- بوعزيز يحي، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، عالم المعرفة ، (ط خ)،2009 .

11- بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ط.1، دار البعث، قسنطينة، 1980.

12- بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، عالم المعرفة، الجزائر، (ط،خ)، 2009.

13- الجمل شوقي ، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ، ط4 ، مكتبة أنجلو المصرية القاهرة ، 2006 .

14- حليمي عبد القادر ، جغرافية الجزائر، ط2، مكتبة الإنشاء ، 1968 .

15- خلف التميمي عبد المالك ، الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي (المغرب العربي ، فلسطين، الخليج العربي) ، ط1 ،عالم المعرفة ، (د ت) .

16- دحدوح عبد القادر، تسمسيلت محطات تاريخية ومواقع آثرية، منشورات السهل، الجزائر، 2009.

17- الزبير سيف الإسلام ، تاريخ الصحافة في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،ج5 ،1984 .

18- زوزو عبد الحميد ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900) ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984 .

19- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1 ، دار البصائر ، الجزائر، 2007.

20- .....، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج3 ، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 .

21- .....، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة و التحرير(1830-1962)، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، الجزائر ، 2007 .

22- صاري جيلالي ، تجريد الفلاحين من أراضيهم (1830-1900)، منشورات المركز الوطني لدراسات والأبحاث ،(ط خ) ،2010 .

23- صاري جيلالي وقداش محفوظ ، المقاومة السياسية (1900-1954)، ترجمة عبد القادر بن حراث ، الأكاديمية الجزائرية للوثائق و المصادر التاريخية ،الجزائر 2010 .

24- صلاح محمد، تاريخ العالم الحديث والمعاصر(1870-1939)، منشورات القضية الجزائرية، 1997 .

25- العربي إسماعيل ،الصحراء الكبرى و شواطئها ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1983 .

26- العسلي بسام ، الأمير خالد الهاشمي الجزائري ، دار النفائس ، بيروت ، 1982 .

27- العسلي بسام ، المارشال بيجو(1784-1849) ، ط2 ، المؤسسة العربية لدراسات و النشر، 1983 .

28- العلوي محمد الطيب ، مظاهر المقاومة الجزائرية ، ط1 ،دار البعث ،الجزائر 1965 .
29- عميراوي آحميدة ، آليات الإستعمار الإستيطاني الأوروبي في الجزائر وليبيا ، جامعة الأمير عبد القادر مخبر البحث و الدراسات الأدبية و الإنسانية ، قسنطينة 2008 .
30- عميراوي آحميدة ، آثار السياسة الإستعمارية و الإستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)، منشورات المركز الوطني لدراسات و البحث في الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزائر ، 2007.
31- الفاضلي إدريس ، المدخل إلى تاريخ النظم ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 2006 .
32- فركوس صالح ، التشريعات المنظمة للإستيطان الإستعماري بالجزائر ، مشروع بحث ، جامعة قالمة ، 2009 .
33- فركوس صالح ، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية الإحتلال الفرنسي و المقاومة المسلحة (1830-1962)، دار العلوم لنشر و التوزيع ، 2009 .
34- قنان جمال ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ، منشورات المتحف الوطني، 1994 .
35- المحامي محمد فريد بيك ، تاريخ الدولة العليا العثمانية ، تحقيق إحسان حقي ، دار النفائس، بيروت ، 1986 .
36- مياسي براهيم ، التوسع الإستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي(1881-1912 ،منشورات المتحف الوطني ، الجزائر ، (د ت) .
37- الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، تقديم و تصحيح محمد الميلي ، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1976

ب- باللغة الفرنسية :

1-J Morel, Galendrier des crimes, version 0،51, 14avril2005

III- الدوريات :

أ- باللغة العربية :

1-آجيرون شارل روبير ، تنمية الإستيطان في الجزائر ، ترجمة محمد طاهر العمودي ، مجلة المصادر، العدد 02 ،1999 .

2-بليل محمد، اسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية عبر التاريخ، مجلة أبحاث، العدد.2، دار الثقافة، تسيمسلت.

3-بن صحراوي كمال، الشريف بومعزة ثائر الظهرة والونشريس من خلال الكتابات الفرنسية، مجلة أبحاث، العدد.2، دار الثقافة، تسيمسلت.

4-بوكرديمي نعيمة ، الحركة الإستيطانية بالجزائر في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة و انعكاستها على المجتمع الجزائري ، أقلام الهند ، العدد 04 ، 2019 .

5-دحدوح عبد القادر ، إسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، مجلة الأبحاث ،العدد 2 ، منشورات دار الثقافة، تسمسيلت2013 .

6-سعيداني سحنون ، اسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية عبر التاريخ، مجلة أبحاث، العدد.2، دار الثقافة، تسيمسلت.

7-صاري جيلالي ،" الونشريس مهد الكفاح بعيد و قريب" ، مجلة الأصالة ، العدد 83-84 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 2011 .

8-عقون العربي ، الونشريس الهوية و المقاومة الجزائرية عبر التاريخ و شواهدها الأثرية ، مجلة الأبحاث ، العدد1 ، منشورات دار الثقافة ، تسميليت ، 2012 .

ب- باللغة الفرنسية :

1-Zoubir Sahli « Ecosysteme en crise risque et sécurite le cas de zone semi-aride de sersou »، option méditerrnéenne série A /21، 1991 .

IV- المعاجم و الموسوعات :

1-الجابري المحمد ، موسوعة حول العالم "حقائق وأرقام"، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2000.

2-الكيالي عبد الوهاب ، الموسوعة السياسية ، ج1 ، دار الهدى ، بيروت ، (د ت) .

3-نبهان يحي محمد ، معجم مصطلحات التاريخ ، دار يافا العلمية ، الأردن ، 2009 .

الملتقيات و الندوات :

1-عمراوي أحميدة، من آليات الاستعمار الاستيطاني الأوربي في الجزائر وليبيا، الندوة العلمية الأولى المنعقدة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية_قسنطينة، دار الهدى، عين مليلة، ماي 2008.

V- الرسائل الجامعية :

1-بوعناني العربي، المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830-1908 ومواقف الزعامات القبلية والدينية من الإستعمار الفرنسي، مذكرة دكتوراه تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2018-2019 .

2-سحنون أمينة، السياسة الزراعية الكولونية بالجزائر (1830-1914) ،مذكرة ماستر تاريخ معاصر، قسم التاريخ ، جامعة خميس مليانة 2018-2019 .

3-سعيداني سحنون ، الإستيطان الفرنسي في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008 .

4-صغيري مريم، الاستيطان الفرنسي ودوره في تفكيك بنية المجتمع الجزائري 1830-1962، مذكرة ماستر في التاريخ الجزائري الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2016-2017.

5-عبود علي، الإستيطان و الصراع حول الملكية الأرض 1832-1899 (القطاع الوهراني)، ماجستير في تاريخ الجزائر المعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2013-2014 .

6-غربي سميه ، قانون سيناتوس كونسلت 1863و آثاره الإجتماعية والاقتصادية على الجزائر، ماستر تاريخ معاصر ، قسم تاريخ ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،2015-2016 .

فهرس الموضوعات

الفهرس:

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
قائمة المختصرات	
المقدمة	أ
الفصل الأول: جغرافية منطقة الونشريس والسرسو وبداية التواجد الفرنسي بها	
المبحث الأول: الإطار الجغرافي لمنطقة الونشريس	**6**
1-1- الإطار الجغرافي لمنطقة الونشريس	**6**
1-2- جغرافية سهل السرسو	**8**
المبحث الثاني: الإطار البشري والتاريخي(1520-1830)	**10**
2-1- قبائل المنطقة	**10**
2-2- التواجد العثماني بالمنطقة	**10**
المبحث الثالث: بداية التواجد الفرنسي بمنطقة الونشريس والسرسو 1840-1844	**14**
3-1- التوسع العسكري (1840-1842)	**14**
3-2- التواجد الفعلي الفرنسي بالمنطقة 1842-1844	**18**
المبحث الرابع: جرائم الاحتلال الفرنسي بمنطقة الونشريس والسرسو	**19**
4-1- مجزرتي تاقدمت وبني مايدة	**21**
4-1-أ- **مجزرة** تاقدمت (21 ماي 1841)	**21**
4-1-ب- مجزرة بني مايدة (1842/08/02)	**22**
4-2- مجزرة غارة الفراشيش(1846/06/18)	**23**
الفصل الثاني: التوسع الاستيطاني بالمنطقة ورد فعل المقاومة الجزائرية (1844-1870)	
المبحث الأول: الاستيطان الفرنسي بالجزائر	26
1-1- مفهومه	26

الفهرس:

2-1- أشكاله	29
المبحث الثاني: تهيئة منطقة الونشريس والسرسو	33
2-1- دور المكاتب العربية(1844_1870)	33
2-2- دور قانون سيناتوس كونسلت في تهيئة المنطقة	36
المبحث الثالث : مظاهر المقاومة في منطقة الونشريس والسرسو	40
3-1- مقاومة الآغا جلول بن فرحات	41
3-2- مقاومة الشريف بومعزة (1845-1847)	43
الفصل الثالث: الاستيطان المدني في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1870-1930)	
المبحث الأول: القوانين الإستعمارية 1870-1930	49
1-1- القانون المدني 24 أكتوبر1870	49
1-2- قانون وارني 26 /1873/07 وقانون الأهالي 1874/08/29	51
أ- قانون وارني 26 جويلية 1873	51
ب- وقانون الأهالي 1874/08/29	51
1-3- قانون إلحاق الجزائر بفرنسا 1881/08/26	52
المبحث الثاني: تنظيم الاستيطان بالمنطقة	53
2-1- تحويل وبنية المنطقة وجردها	53
2-2- تنظيم المنطقة وتوسيع الاستيطان	55
أ- تنظيم المنطقة	56
ب- توسيع المنطقة	56
المبحث الثالث: دراسة نموذجية لظاهرة الاستيطان (بلدية فيالار)	58
3-1- إنشاء البلدية	58
3-2- فيالار في خدمة المستوطنين	60
3-3- السياسة الاستعمارية اتجاه الأهالي	61

الفهرس:

المبحث الرابع: رد فعل منطقة الونشريس والسرسو	63
4-1- التمسك بالأرض	63
4-2- الدعوة إلى المساواة	64
4-3- المقاومة الثقافية	65
الخاتمة	69
الملاحق	71
الوثائق	72
الخرائط	78
قائمة المصادر والمراجع	84
فهرس المحتويات	92